

الباب الأول

التعريف بالجمعيات القومية العربية وأبرز رجالها ومبادئها

تمهيد

المبحث الأول: الجمعيات القومية خلال المشروطية الأولى

١. الجمعية العلمية السورية
٢. جمعية بيروت السرية
٣. جمعية رابطة الوطن العربي

المبحث الثاني: الجمعيات القومية خلال المشروطية الثانية

١. جمعية الإخاء العربي العثماني
٢. جمعية المنتدى الأدبي
٣. الجمعية القحطانية
٤. الجمعية اللامركزية
٥. جمعية العهد

٦. جمعية بيروت الإصلاحية

٧. جمعية العربية الفتاة

٨. حزب البعث العربي

الفصل الأول

التعريف بالجمعيات القومية العربية

سيقتصر الحديث في هذا الفصل على التعريف بالجمعيات القومية العربية دون مناقشة لمواقفها تجاه مسائل العقيدة حيث خصص لذلك بابٌ مستقل نظراً لأهمية تلك المواقف وفي الفصل الثاني سيكون الحديث عن أهم أسباب نشأة هذه الجمعيات .

تمهيد:

كان الشعور الديني عند الناس قبل القرن الرابع عشر الهجري هو الأصل، فكان ولاء الأمة للخليفة ولاءً دينياً . ومن خلال تتبع نشأة الجمعيات القومية العربية يلاحظ أن الهدف من إنشائها قد طُلي بأهداف علمية واجتماعية وأدبية. وإنما الأصل في إنشائها هو غرض سياسي؛ وبالتحديد المطالبة بالتححرر من الحكم الاستعماري التركي — بناء على زعمهم — للبلاد العربية، لذا اتخذت بعض الجمعيات صفة السرية .

نشوء الجمعيات السرية:

لم يكن نشوء الجمعيات أمراً غريباً، أو مستحدثاً في تاريخ الدولة الإسلامية وحياتها، فقد عرفت الدولة الإسلامية قبل ذلك نشوء عدة جمعيات سياسية باطنية من أمد طويل^(١).

إن الفرق الباطنية تكونت عن طريق جمعيات سرية، واستطاع أهلها أن يهيئوا المؤامرات ويضعوا الخطط للثورة والخروج على الخليفة .. فهم يثون في الظاهر بعض الظلامات والشكاوى من الولاة إلى الخليفة، ويخططون في الباطن للقضاء على الخلافة الإسلامية^(٢).

ومن خلال تتبع نشأة الجمعيات القومية العربية في القرن الرابع عشر الهجري، يظهر أن المنهج والأسلوب الذي سلكه هؤلاء في تأسيس جمعياتهم هو المنهج الذي سلكه أهل الجمعيات الباطنية، في تأسيس جمعياتهم، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

١- اتخذت الجمعيات الباطنية قديماً وحديثاً (آل البيت) ستاراً لمقاصدهم في هدم الخلافة الإسلامية، والقضاء على الوحدة المبنية على كتاب الله وسنة

(١) جمعية العربية الفتاة السرية دراسة وثائقية-سهيلة الرймаوي-٥٨.

(٢) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين-أحمد جلي-٢٧-مركز الملك فيصل - الطبعة الأولى -

رسوله ﷺ^(١) وهذا المسلك اتخذته الجمعيات القومية العربية في القرن الرابع عشر الهجري، فقد ناصر أعضاء الجمعيات القومية ثورة الشريف حسين بن علي^(٢)، وساروا في طليعتها خلال مراحلها الأولى، وذلك بعد أن سبروا القادة العرب في ذلك العصر، فتم اختيار الشريف حسين قائداً للثورة العربية^(٣). والحسين بن علي من سلائل آل البيت^(٤).

٢ — ضمت الجمعيات الباطنية بين أعضائها عقائد مختلفة، فكانت تضم في صفوفها: أبا إسحاق الصابي الحارثي، وهو من عبدة النجوم (الصابئة)، ويحيى بن عدي النصراني، وماني الجوسسي، وأبا سليمان المنطقي السجستاني الإسماعيلي^(٥).

وهذا الخليط من العقائد المنحرفة نجده عند الجمعيات القومية العربية في القرن الرابع عشر الهجري فكانت تضم بين صفوفها: عبدالكريم الخليل

(١) انظر: ١- عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام- سليمان العودة- دار طيبة- الطبعة الأولى.

٢ — دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين - أحمد جلي.

٣ — الحركات الباطنية في العالم الإسلامي- محمد أحمد الخطيب- ٤٣٥- مكتبة الأقصى- عمان- الأردن- الطبعة الثانية- ١٤٠٦هـ.

(٢) انظر الترجمة رقم (٢٠).

(٣) انظر: الهاشميون والثورة العربية الكبرى- ٢٥. وانظر: العرب والعثمانيون- عبدالكريم عثمان-

(٤) تاريخ الدولة السعودية- أمين سعيد- ١٠٦/٢- دار الكاتب العربي- بيروت- ١٩٦٤.

(٥) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي- محمد أحمد الخطيب- ٤٣٥

الرافضي^(١)^(٢)، وعادل أرسلان^(٣) وفؤاد حمزة الدرزيين^(٤)^(٥)، نجيب عازوري وفارس نمر^(٦) النصرانيين^(٧)، ونسيم ملول اليهودي^(٨).

٣ - السعي لإسقاط الخلافة الإسلامية، كان من أبرز مقاصد الفرق الباطنية، وقد كان لتفتيت العالم الإسلامي الذي عمل على تنفيذه أتباع الباطنية، أثرٌ بالغُ الخطورة على التطورات السياسية فيه خاصةً وهو يواجه الصليبيين والتتار. ولما تحرك الصليبيون صوب الجنوب كانت سياستهم التقليدية تقوم على محالفة الفاطميين الشيعة بمصر لمناهضة الخلفاء العباسيين^(٩).

وكان بعض أعضاء الجمعيات القومية العربية في القرن الرابع عشر الهجري يسعون للمقصد نفسه، وهو ما يسمونه بالتححرر من الاستعمار التركي للبلاد العربية^(١٠)، فدعوا إلى رابطة عربية تجمع بين المواطنين، على اختلاف مذاهبهم. واستُوحى التاريخُ المشترك والمنجزات الحضارية العربية المشتركة، من المذاهب

(١) انظر الترجمة رقم (٤٥).

(٢) الحركة العربية - سليمان موسى - ١٠٢.

(٣) انظر الترجمة رقم (٤٠).

(٤) انظر الترجمة رقم (٥٢).

(٥) يقظة العرب - جورج انطونيوس - ١١٩ والإعلام - الزركلي - ١٥٩/٥.

(٦) انظر الترجمة رقم (٥٥).

(٧) نشوء القومية العربية - زين نور الدين زين - ٦٠، وحركة اليقظة العربية - محمود منسي - ١٠٠.

(٨) أوراق محب الدين الخطيب في القاهرة.

(٩) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي - محمد أحمد الخطيب - ٤٤٥.

(١٠) البلاد العربية والدولة العثمانية - ساطع الحصري - ٢٩ - معهد الدراسات العربية العالمية - ١٩٥٧.

كافةً، لجمع أبناء الأمة وراء هدف واحد، يؤكد الهوية القومية للعرب، في سبيل وحدتهم وتحررهم ورقيتهم^(١). وقد شارك بعض أعضاء الجمعيات القومية مشاركة ميدانية في إسقاط السلطان عبد الحميد^(٢).

٤ — كان للجمعيات السرية والتي تضم بين صفوفها من اليهود، والنصارى، والمجوس أثرٌ فعالٌ في نشر عقائد الفرق الباطنية وتضليل المسلمين بها، وذلك لما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً، تعاضمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله واستشناع ظلم علي ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام^(٣).

ومن أبرز اليهود عبد الله بن سبأ، فقد قال المحققون من أهل العلم: إن ابن السوداء كان على هوى دين اليهود، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في علي وأولاده لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى عليه

(١) العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦-عبد الكريم رافق-٥١١.

(٢) انظر: مذكراتي على هامش القضية العربية- أسعد داغر-٣٤- عن دور عزيز علي المصري في إسقاط السلطان عبد الحميد.

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل- ابن حزم-٢/٢٧٣- دار عكاظ للنشر- جدة- الطبعة الأولى- ١٤٠٢هـ.

السلام^(١) وقال عنه ابن كثير: (ابن السوداء وكان أصله ذمياً فأظهر الإسلام وأحدث بدعاً قوليةً وفعليّةً، قبحه الله)^(٢).

هذا أثر الجمعيات السرية في نشر العقائد الباطنية، وعن أثر الجمعيات السرية في الجمعيات القومية العربية، فإن أهم الجمعيات السرية في القرن الرابع عشر الهجري هي المحافل الماسونية^(٣).

ولأهمية موضوع تأثير المحافل الماسونية على الجمعيات القومية العربية تناولته بالبحث في الفصل الثاني عند الحديث عن أسباب نشأة الجمعيات القومية.

وقد ذكر الباحثون في تاريخ الماسونية في الوطن العربي، أن الماسونية قد دخلت إلى دمشق على يد الأمير عبدالقادر الجزائري بعد عودته من مصر للإقامة في دمشق تنفيذاً لاتفاقه مع السلطات الفرنسية، حيث شارك في إنشاء أول محفل ماسوني سوري في دمشق، كان تابعاً لمحفل شرق إيطاليا الأعظم.

وكان الأمير الجزائري قد انتسب إلى الجمعية الماسونية أثناء زيارته الطويلة لمصر على يد الأمير حليم باشا^(٤) — ابن محمد علي باشا^(٥). وانتظم في

(١) الفرق بين الفرق - البغدادي - ٢٣٥ - دار المعرفة - بيروت.

(٢) البداية والنهاية - ابن كثير - ١٨١/٧. وانظر: عبدالله بن سبأ - سليمان العودة - ٤٦.

(٣) لتأثير الأنظمة الماسونية وانتساب أعضاء الجمعيات القومية فيها والدعوة لمبادئها سأتوسع في المادة العلمية في الفصل الثاني. انظر ص () من الرسالة

(٤) انظر الترجمة رقم (٣٠).

(٥) الماسونية مالها وما عليها ماضيها وحاضرها - سعيد الجزائري - ٣٤٦ - مؤسسة النوري - دمشق - الطبعة الأولى - ١٤٠٧ هـ.

سلكها بمحفل الأهرام التابع للشرق السامي الفرنسي، ووافقت مشاربته من كل الوجوه، فأحبها وأحب أهلها، ومال إليها وإليهم كثيراً، وكان لا يخفي نفسه، وطالما جاهر أنه من أعضائها^(١).

ومن تصريحات الجزائري تأييداً للأفكار الماسونية: (إني اعتبر منظمة البنائين الأحرار (الماسونية) كأول مؤسسة في العالم، وفي رأيي أن كل رجل لا يجاهر بالعقيدة البنائية (الماسونية) يعد رجلاً ناقصاً وأؤمل يوماً أن أرى فيه انتشار مبادئ الفرنسي ماسونية في العالم، ويومئذ فإن كل الشعوب ستعيش في سلام وأخوة)^(٢) وقد حاز الأمير عبدالقادر الجزائري من المحفل الأكبر المشار إليه لقب (الأستاذ الأعظم الشرقي)^(٣).

وفي تاريخ الحركة العربية يعتبر الأمير عبدالقادر الجزائري من أوائل القوميين العرب الذين تولوا مبدأ استقلال البلاد العربية عن الدولة العثمانية، حيث قامت حركة استقلالية في ولاية سوريا بين (١٨٧٧ و ١٨٨٠م) (١٢٩٤ و ١٢٩٧هـ) وذلك خلال الأوضاع المضطربة التي تمر بها الدولة، فاتصل أحمد الصلح ببعض العاملين المؤيدين وبعض أصحاب الزعماء في صيدا، ثم سافروا إلى دمشق، واتصلوا ببعض أصحاب الرأي والمكانة فيها، ثم قصدوا بعد ذلك إلى

(١) الماسونية والماسونيون في الوطن العربي - حسين عمر حمادة - ١٠٤ - دار قتيبة - دمشق.

(٢) الأمير عبدالقادر الجزائري في السنوات الأولى من إقامته بدمشق - عبدالجليل التميمي - ٤٥٣ - جامعة دمشق - كلية الآداب - مطبعة الطرايبشي - ١٩٧٩

(٣) الماسونية ذلك العالم المجهول - عبدالخليل الياس الخوري - ٥٧ - دار العلم للجميع - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٥٤.

(دُمّر)، مصيف عبدالقادر، وقضوا في ضيافته ثلاثة أيام تباحثوا في خلالها معه في الأوضاع المرتبكة في البلاد، وتقرر في الاجتماع العمل لتحقيق استقلال البلاد الشامية (وهي ما تعرف اليوم بسوريا والأردن وفلسطين) وقدم أحمد الصلح اقتراحاً بترشيح الأمير عبدالقادر ملكاً على هذه البلاد، فوافق المجتمعون على هذا الاقتراح^(١).

محافل الماسونية في سوريا^(٢):

كان أول محفل ماسوني تأسس في بيروت عام ١٨٦٢م (١٢٧٩هـ) تحت رعاية الشرق الأعظم الاسكتلندي، وعرف [بشرق فلسطين رقم ٤١٥] وكانت لغته الرسمية الفرنسية، وكانت تديره الأيدي الصهيونية، وتوقفت أعماله سنة ١٨٨٨م (١٣٠٥هـ). وفي سنة ١٨٦٩م (١٢٨٦هـ) تأسس في بيروت أيضاً محفل آخر تحت رعاية الشرق الأعظم الفرنسي عرف [بشرق لبنان] وكانت لغته الرسمية هي العربية، ورئيسه نقولا حجي، وكاتب أسرارهِ الأستاذ شاهين مكاربوس^(٣) — أحد أعضاء جمعية بيروت السرية —^(٤)، فانضم إليه كثيرون من أعيان البلاد وعلمائها ورجالها على اختلاف مذاهبهم^(٥).

(١) نشوء القومية العربية - زين نور الدين زين-٦٧.

(٢) تعني بسوريا البيئة الطبيعية للبلاد الجغرافية التي تشمل (الشام، الاردن، لبنان، فلسطين، العراق). انظر: الماسونية ذلك العالم المجهول-عبدالخليم الياس الخوري-٥٧.

(٣) انظر الترجمة رقم (٣٤).

(٤) الماسونية والماسونيون في الوطن العربي-حسين حماده- ١٧٨.

(٥) الماسونية ذلك العالم المجهول-عبدالخليم الياس الخوري- ٥٣.

وأخذت محافل الماسونية بالانتشار، ومن هذه المحافل :

محفل زهرة الآداب: أنشئ في بيروت سنة ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ).

محفل السلام: أنشئ في بيروت بعد عام ١٩٠٠م (١٣١٨هـ) تحت رعاية المحفل الأكبر الاسكتلندي، وكان محترمه الأستاذ إسكندر البارودي^(١).

محفل إبراهيم الخليل: تأسس في دمشق تأسس عام ١٩٢٤م (١٣٤٢هـ)، ومؤسسوه هم: داوود المارديني، مصطفى القباني، مصطفى شوقي، عثمان سلطان^(٢).

محفل العروبة: أنشئ في مدينة حمص السورية، رئيسه بشير المعصراني، وآخرون^(٣).

وفي فلسطين: أنشئ محفل ماسوني عام ١٨٧٣م (١٢٩٠هـ) هو محفل «سليمان الملوكي الأساسي» نمرة (٢٩٣) وتوالى بعده على مجيء الثلاثين عاماً التالية مدُّ أذرع المخطط الماسوني حتى غطت شبكة محافل الماسونية جميع مدن فلسطين^(٤).

وفي العراق: أسّس في البصرة المحافل التالية :

(١) انظر الترجمة رقم (٥).

(٢) الماسونية ذلك العالم المجهول- عبدالحليم الياس الخوري- ٥٣.

(٣) الماسونية والماسونيون في الوطن العربي- حسين حمادة- ١٥٨.

(٤) الماسونية في منطقة ٢٤٥- أبو إسلام أحمد عبدالله- ٤٢-٤٧ (بتصرف)- الزهراء للإعلام العربي- القاهرة- الطبعة الأولى- ١٤٠٦.

محفل (ما بين النهرين) سنة ١٩١٨م (١٣٣٦هـ).

محفل (بابل) سنة ١٩٢٢م (١٣٤٠هـ).

محفل (صدق الوفاء)^(١).

(١) المصدر السابق نفسه - ٤٤.

التعريف بالجمعيات القومية العربية

لقد ظهر الشعور القومي عند نخبة من الشباب العربي والغالب أنهم من النصارى أو الدروز، وأول قطر عربي ظهرت فيه الجمعيات بيروت، ثم ظهر في دمشق، ثم أخذ ينتشر في سائر الأقطار العربية. وهذا الترتيب يساير اليقظة الأدبية الحديثة في الشام^(١).

(١) القومية العربية تاريخها وقومها ومراميتها - مصطفى الشهابي - ٤٥ - جامعة الدول العربية - الطبعة الثانية - ١٩٦١.

المبحث الأول: الجمعيات القومية خلال المشروطية الأولى^(١)

١. الجمعية العلمية السورية:

الصفة البارزة لهذه الجمعية أنها سرية ، وقد تكونت على أنقاض جمعيتين سابقتين لها ، وهما (جمعية الآداب والعلوم) و(الجمعية الشرقية). وقد ارتبطتا بالحمالات التنصيرية التي تولت رعايتهما .

ولارتباط الجمعية العلمية السورية بالجمعيتين، يحسن التعريف بهما تعريفاً مختصراً.

أولاً- جمعية الآداب والعلوم: ارتبطت هذه الجمعية بالبعثة التبشيرية الأمريكية، وقدم اليازجي والبستاني اقتراحاً إلى البعثة الأمريكية بتأليف جمعية

(١) يقسم عهد الجمعيات عموماً في الدولة العثمانية إلى قسمين: المشروطية الأولى وهي إعلان الدستور الذي أصدره السلطان عبد الحميد الثاني: وتبدأ من تاريخ ١٨٧٦م. وأصدر السلطان عبد الحميد رفع الدستور وتعطيله بتاريخ ١٨٧٨ .

والمشروطية الثانية: هي المرسوم الذي أصدره السلطان عبد الحميد من تاريخ ١٩٠٨م بإعادة الدستور. وفي خلال هذه المرحلة أسقط السلطان عبد الحميد، وانتقل الحكم إلى جمعية الاتحاد والترقي. وتمزقت الدولة العثمانية حتى سقطت كمسمى دولة، وتحولت إلى جمهورية علمانية، على يد مصطفى كمال أتاتورك ١٩٢٤م.

انظر: الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري-رسالة دكتوراه- سهيل صابان- جامعة الإمام محمد بن سعود- ص ٨.

تهدف إلى بذل الجهد لمسايرة انتشار التعليم في المدارس وظهور العناية الحديثة بالعلوم.

وحقق المشروع المقترح، فأنشئت سنة ١٨٤٧م (١٢٦٣هـ) في بيروت باسم (جمعية الآداب والعلوم) وكان من أعضائها: اليازجي والبستاني، وكذلك أيلي سميث، وكرنيلوس فنديك^(١)، وعدة أعضاء من الأمريكان، وانتسب إليها رجل إنجليزي كان يقيم في بلاد الشام هو الكولونيل تشرشل^(٢). ولم يشترك فيها عضو مسلم، فأكثرهم من النصارى السوريين المقيمين في بيروت^(٣).

(١) كرنيلوس فنديك طبيب، هولندي الأصل ولد في أمريكا عام ١٢٣٣هـ أرسله مجمع المرسلين الأمريكيين للتصير في بلاد الشام، وهو في الحادية والعشرين من عمره، وتأثر به طائفة كبيرة من أبناء المسلمين، توفي عام ١٣١٣هـ. انظر: (الإعلام-الزركلي-٢٢٣/٥).

(٢) السير ونسون تشرشل، ولد في قصر بلنهايم في أكسفورد شاير عام ١٨٧٤، وتخرج من كلية هارد عام ١٨٩٥ وعمل ضابطاً في الجيش ومراسلاً حربياً في كوبا والهند، كما أشترك في المعاهد الحربية خاصة في الهند وفي آخر حملة بريطانية على السودان وذلك في معركة أم درمان وفي عام ١٨٩٩ استقال من الجيش. زاول السياسة منذ عام ١٩٠٠ وتم انتخابه عضواً في مجلس العموم، عين تشرشل قائداً للبحرية سنة ١٩١١، وكانت لتشرشل اتصال وترتيب مع أعضاء الجمعيات القومية العربية، حيث مد الحركة القومية بالمال بصورة مساعدات مقدمة من بريطانيا، وبنهاية الحرب العالمية الأولى عين تشرشل وزيراً للحربية والطيران عام ١٩١٨ عاد إلى رئاسة الوزراء سنة ١٩٥١ وكان عمره ٧٧ عاماً، منح لقب فارس من قبل الملكة، كما منح جائزة نوبل في الآداب. وفي عام ١٩٦٥ أصيب بسكتة دماغية ومات بعد ذلك بتسعة أيام وقد بلغ ٩٠ عاماً من مؤلفاته الأزمة العالمية. انظر: (الموسوعة العربية العالمية-٣٠٧/٦-حرف التاء).

(٣) يقظة العرب-جورج انطونوس-١١٦-١١٧ (بتصرف).

ولتحقيق الغاية من إنشاء الجمعية فقد كان لها مكتبة صغيرة وكان القِيمُ عليها اليازجي، والبستاني سكرتيراً لها. وكان يُعقد لها اجتماعات يُقدّم أحدُ أعضائها بحثاً في كل اجتماع^(١).

ثانياً - الجمعية الشرقية: وهي جمعية فرنسية، أسست سنة ١٨٥٠م (١٢٦٦هـ) على الأسس نفسها التي قامت عليها جمعية الآداب والعلوم. وكان الروح المحرك لها هو هنري دو يرونيير^(٢). وكانت تعقد اجتماعات دورية تلقى فيها بعض الأبحاث.

وكان بعضُ أعضاء الجمعية الشرقية من السوريين وبعضهم الآخر من الأجنب، وكانوا جميعاً من النصارى. وقد انفرط عقدها في وقت واحد مع جمعية الآداب والعلوم^(٣).

لم يدون في سجل جمعية الآداب والعلوم والجمعية الشرقية سوى المؤسّسين لها: اليازجي والبستاني، وبقية الأعضاء كانوا مثلهما من العرب النصارى. ويعتبر القوميون^(٤) عدم تسجيل المسلمين العرب فيها راجعاً إلى - ما يسميه القوميون - بالتعصب الديني في ذلك العصر. إلا أنه تحت إلحاح وتأثير مطالب

(١) المصدر السابق نفسه-١١٧ (بتصرف).

(٢) قال جورج انطونيوس: (هنري دو: يسوعي فرنسي، ولد سنة ١٨٢١، وصل بيروت سنة ١٨٤٩ وبدأ فور وصوله بتعلم اللغة العربية، وقد اكسبه اطلاعه الواسع ونشاطه المتوثب نفوذاً كبيراً في الشام، وتبوأ منزلة وقيمة بفضل الجهود التي يبذلها. توفي في فرنسا سنة ١٨٧٢م). [يقظة العرب- حاشية ١١٨].

(٣) يقظة العرب-جورج انطونيوس-١١٨ (بتصرف).

(٤) المصدر السابق نفسه- ١١٩.

البستاني واليازجي للعرب جميعاً، ومناشدتهم على اختلاف عقيدتهم أن يتحدوا لخدمة لغتهم، تقدم المسلمون باقتراح يتضمن موافقتهم على الاشتراك في تأليف جمعية جديدة تتحد فيها جهود العقائد الدينية جميعها لخدمة العلم، على شرط ألا يكون للمبشرين أي أثر فيها^(١).

وهكذا أنشئت الجمعية العلمية السورية في سنة ١٨٥٧م (١٢٧٣هـ)، وبلغ أعضاؤها ١٥٠ عضواً، وكان جميع أعضائها عرباً ليس فيهم أجنبي^(٢).

وقد اشترك فيها زعماء عرب من مختلف العقائد، وكان من أعضاء مجلس إدارتها الدرزي الأمير محمد أرسلان الذي بقي عدة سنوات رئيساً لها، وحسين بيهم^(٣)، ونصاري من جميع الطوائف. فكانت الجمعية العلمية أول جمعية يشترك فيها أعضاء من أهل الدينين^(٤).

وقد نالت الجمعية العلمية اعتراف الحكومة بها سنة ١٨٦٨م (١٢٨٥هـ)، وفسحت المجال للاشتراك فيها حتى ضمت أعضاء كثيرين من الأشخاص البارزين الذين يقطنون خارج البلاد، وخاصة في القسطنطينية والقاهرة^(٥).

(١) المصدر السابق نفسه - ١١٩.

(٢) القومية العربية تاريخها وقومها ومرامها - مصطفى الشهابي - ٤٥.

(٣) انظر الترجمة رقم (٢١).

(٤) يقظة لعرب - جورج انطونيوس - ١١٩.

(٥) المصدر السابق نفسه - ١١٩.

مبادئ وتنظيمات الجمعية:

كانت غايات الجمعية ووسائلها وأنظمتها كلها على غرار جمعية الآداب والعلوم، والتي حددها العربيان النصرانيان نصيف اليازجي، وبطرس البستاني، وهي إبراز فكرة القومية العربية في إطار عام أساسه أن للعرب عامة — مسيحيين ومسلمين — تراث مشترك وحضارة عريقة تمتد جذورها إلى ما قبل الإسلام ولا بد من التنقيب عنها والكشف عن جذورها التاريخية والعمل على تطويرها لتساير روح العصر^(١)، كما يقول اليازجي والبستاني.

ولنشر الفكر القومي في المجتمع أصدر بطرس البستاني ببيروت صحيفة أسبوعية باسم (نفير سوريا) وهي أول صحيفة سياسية نذرت جهودها من أجل الدعوة إلى الوحدة والتكاتف ونبد التعصب، وهي مؤلفة من صفحة واحدة كان يوجه فيها إرشاداته وآراءه كمبدأ فصل الدين عن الدولة^(٢).

وبعد ثلاث سنوات أنشأ بطرس البستاني (المدرسة الوطنية) لكي تزود التلاميذ من مختلف الأديان بتعليم قومي، وأصدر أيضاً (الجنان): وهي مجلة أدبية سياسية نصف شهرية، كان هدفها — كنفير سوريا — محاربة ما يسميه القوميون (التعصب) والدعوة إلى التفاهم والوحدة من أجل خير الوطن، وكان شعارها: الوطنية من الإيمان^(٣).

(١) تاريخ العرب الحديث-عبدالوهاب أحمد عبدالوهاب- ٣٥٥- دار القلم-دي-الطبعة الأولى- ١٤٠٧هـ.

(٢) سليم البستاني- ميشال جحا- ٢٣- سلسلة الأعمال المجهولة - رياض الريس للكتب والنشر.

(٣) حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي- محمود منسي- ٦٥- دار الفكر العربي - ١٩٧٨.

ومن المبادئ التي دعت إليها الجمعية العلمية ونقلتها إلى المجتمع الإسلامي مجلة الجنان: (إن أمس الأمة العربية هو أمس أمة لم تفن كل زمان حياتها. ولذلك لا بد لها من غد تعوض فيه ما خسرت من الحياة في أمس. وهذا إنما يتم بالاتحاد بواسطة العصبة الجنسية الموافقة للعصبة الوطنية. ولا أمل لنا بالعصبة الدينية لأن زمان النبوة قد مضى وقد تركنا الدين)^(١).

وانطلاقاً من مبدأ التسامح الديني، ووجوب الولاء على أساس وطني قومي، أكدت الجمعية عن طريق صحيفتها (الجنان) بأنه (لا بد من أن تكون في معابدنا إسلاماً وأرمن ودروزاً وموارنة وروماً وكاثوليكاً ونصيرية وسرياناً، وغير ذلك وفي ميادين الأعمال لنا راية واحدة استبداد الحال لنا إنما يكون بالاجتماع حولها بالغيرة والحمية والصدقة)^(٢).

وكان النشاط الثقافي للجمعية محصوراً «بنخبة» بدأت على ما يبدو تتعرف على أفكار أوروبا وتمثلها وفق الصيغ التعبيرية التي قدمتها الحضارة الغربية التوسعية نفسها (مدنية، حضارة، علم، ... الخ) لهذا فإن الموضوعات التي تضمنتها بعض المحاضرات التي نظمتها الجمعية تعكس بوضوح محاولة التمثل هذه. ولعل إيراد أمثلة من عناوين المحاضرات وأسماء المحاضرين يبدو مفيداً في هذا السياق:

(١) مجلة الجنان ١٨٧٠ - ص ٦٧٣-٦٧٧- نقلا عن كتاب سليم البستاني - ١١٦.

(٢) افتتاحية ج ٦، مجلة الجنان ١٨٧٤-١٨١-١٨٣- نقلا عن كتاب سليم البستاني - ١٢٢.

اسم المحاضر	عنوان المحاضرة
حنين الخوري	حاجات العقل
	الزراعة
	تاريخ الحضارة الأوربية
المركز موسى دي فريج	التجارة
	الحضارة
سليمان شحادة	واقع التعليم
إبراهيم ثابت	حاجات الحضارة ^(١)

كما نشرت الجمعية العلمية في المجتمع العربي بعض مبادئ القومية العربية، وذلك عن طريق إبراهيم اليازجي ومعه عدد قليل من أعضائها، حيث ألفوا وهم في ميعة الصبا حلقة وطنية سرية انطلق منها قصائدُ وطنية ثورية نظمها إبراهيم اليازجي، وأشاد فيها بمجد العرب وحضارتهم، وسُمِّوا لغتهم وتراثهم الأدبي، وحذّر العرب من أضرار التفرق والتخاصم الديني، وندد بحكم الترك. ومما جاء من القصائد:

أي النعيم لمن يبيت
ولمن تراه بانساً أبداً
ولمن أزمته بكف عداه
ومنها:

فالترك قوم لا يفوز
لديهم إلا المشاكس

(١) الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي - وجيه كوثراني - ١٣٤ - منشورات

أو لستم العرب الكرام ومن هم الشُّمُّ المعاطس

وفيها يخاطب بني قومه:

لا دولة لكم يشد أزركم بما ولا ناصر للخطب ينتدب

أقداركم في عيون الترك نازلة وحقكم بين أيدي الترك مغتصب^(١)

ومن خلال ما سبق عن تنظيم ومبدأ الجمعية العلمية: فهي تعتبر من أوائل المخططات السرية لبث الفكر القومي في المجتمع المسلم، وقد لا يحتاج إلى دليل أنها كانت من تصميم وإنشاء الحملات التنصيرية، والتي أقيمت على غفلة من المسلمين من جانب، ومن جانب آخر لأغراض علمية أو طبية.. إلخ من الأغراض التي استغلها النصارى للدعوة إلى زعزعة المجتمع الإسلامي.

وقد أثنى القوميون على مبادئ الجمعية العلمية، فقالوا: إنها استطاعت أن تجمع بين العقائد المتناحرة، وتوحيدها في رابطة إيجابية فعالة، تعمل لتحقيق أهداف مشتركة.. وأصبح الحافز لهم إلى العمل هو اهتمامهم بتقدم البلاد على أساس الوحدة الوطنية. كما أصبح الرابط الذي يؤلف بينهم هو اعتزازهم بالتراث العربي^(٢).

(١) القومية العربية تاريخها وقومها ومراميتها- مصطفى الشهابي -٤٥.

(٢) انظر: يقظة العرب-جورج انطونيوس-١١٩.

٢. جمعية بيروت السرية (الجمعية السرية):

أنشئت جمعية بيروت السرية (الجمعية السرية) عام ١٨٧٥ م (١٢٩٢ هـ)، ويعزى إنشاء هذه الجمعية إلى بعض الطلاب العرب في الكلية الأمريكية السورية؛ وكانوا جميعاً نصارى، ولكنهم أدركوا قيمة انضمام المسلمين والدروز إليهم، فاستطاعوا أن يضموا إلى الجمعية نحو اثنين وعشرين شخصاً ينتمون إلى مختلف الطوائف الدينية^(١).

وقد استطاعت الجمعية النفوذ إلى داخل محافل الماسونية، فقد كان بعض الأعضاء البارزين في هذه الجمعية السرية قد انضموا إلى عضوية هذه المحافل الماسونية، وكانوا يأملون أن يستميلوا المسلمين، بعد أن يكونوا قد انضموا إلى عضوية هذه المحافل الماسونية، للانتماء إلى الجمعية السرية^(٢).

من خلال تتبع تاريخ الجمعيات يتضح أن هناك صفة ظاهرة في تأسيس الجمعيات، وهي أن الثانية تنشأ على أنقاض الأولى وهكذا، وقد يكون السبب عائداً إلى منهجية التأسيس وهي السرية، ومنهجية المبادئ، فحينما يكشف أمر ونظام الجمعية الأولى تحمل الجمعية وينتقل الأعضاء إلى مسمى جمعية ثانية. وهذا هو منهج الجمعيات الماسونية على السواء.

(١) المصدر السابق نفسه-١٤٩. وانظر: نشأة الحركة الحديثة-محمد دروزة-٩٤.

(٢) نشوء القومية العربية-زين نور الدين زين-٦١.

ولهذا فقد ضمت جمعية بيروت السرية نخبة من العلماء والأدباء على السواء، وكان أكثرهم من تلامذة اليازجي والبستاني، وجميعهم من مرديهما^(١).

ويؤكد فارس نمر النصراني - أحد مؤسسي هذه الجمعية - على أن فكرة (القومية) لم تكن بعد قد وجدت طريقها إلى وجدان العامة من الناس في الشرق الأدنى. إذ كان ولاء الناس - كما كانت جميع الروابط والعلاقات الاجتماعية - يقوم على أساس ديني طائفي^(٢).

مبادئ وتنظيم الجمعية:

كما ذكر في بداية الحديث عن الجمعية أنها سرية، وتولى إنشاءها نصارى العرب، تحت توجيه وإرشاد الكلية الأمريكية السورية التي صارت (الجامعة الأمريكية). وكان للجمعية فروع في دمشق وطرابلس وصيدا.

إن الهدف من إنشاء الجمعية قد طبع بطابع سياسي صرف، وهو المطالبة بالانفصال عن الحكم التركي، وإعطاء سورية استقلالاً ذاتياً خاصاً بالعرب^(٣).

وقد برر أعضاء الجمعية أن هذا الهدف كان نتيجة للشعور الذي وجد عند مؤسسي الجمعية وجلهم من النصارى وهو احتقار الأتراك لهم، واعتبارهم أدنى شأناً منهم، مما جعلهم يشعرون بالإهانة. غير أن العربي المسلم عندما كان يتكلم

(١) يقظة العرب - جورج انطونيوس - ١٥٩.

(٢) نشوء القومية العربية - زين نور الدين زين - ٦٠.

(٣) يقظة العرب - جورج انطونيوس - ١٥٨.

عن الإمبراطورية العثمانية كان يستطيع أن يقول إنها إمبراطوريته، لأنها كانت إمبراطورية إسلامية^(١). لذا أدرك النصارى العرب لزوم رفع شعار لا يختلف عليه المسلم والكافر، فلم يكن هنالك من قاسم — كما يقول فارس نمر — مشترك بين المسلمين العرب والمسيحيين العرب سوى (العروبة) فالعروبة كشعار، كان في وسعها أن تثير في نفوس العرب شعوراً بالقومية، وأن توحد أيضاً بين المسلمين العرب والمسيحيين العرب الناقمين على الأتراك^(٢)، فاللواء المرفوع الوحدة والتكاتف والتناصر والتآخي، على أساس قومي عربي .

لتحقيق هذا الهدف المطلي بشعار القومية رأّت الجمعية أن تخرج من طي السرية والكتمان، الذي كان مقصوراً على الاجتماعات السرية التي كانوا يتبادلون فيها الآراء ويبحثون الخطط، وعلى نشر أفكارهم السياسية بوسائلهم واتصالاتهم الشخصية، فعزموا على توسيع نطاق دعوتهم واختاروا الوسيلة الوحيدة التي كان من الممكن أن تتاح لهم في ظل الحكم — الذي قالوا عنه — الاستبدادي التركي اليقظ، وهي لصق المنشورات في الشوارع من غير أن يكون عليها ما يدل على مصدرها^(٣).

منشورات جمعية بيروت السرية:

ذكرت أكثر المصادر القومية التي تحدثت عن الجمعية، أمثلة عن المنشورات التي قامت بكتابتها وتوزيعها في المجتمع، ومن هذه المنشورات.

(١) نشوء القومية العربية — زين نور الدين زين — ٦٠.

(٢) يقظة العرب — جورج انطونيوس — ١٥٠، ٦١.

(٣) المصدر السابق نفسه — ١٥٠.

المنشور الثاني، الذي كتب في أعلاه العبارة التالية: «(إعلان) وتحتها صورة سيف مسلول»، وكتب تحته البيت التالي:

لنطلبن بحمد السيف مأربنا فلن يخيب لنا في جنبه أرب

يقول المنشور: (يا أبناء سورية: قام موسى عليه السلام مصلحاً فقال المصريون: إن به جنة. وقام سقراط^(١) مصلحاً فقتله اليونان، وقام عيسى عليه السلام فقال اليهود به شيطان. وقام محمد عليه السلام مصلحاً فقال عرب الجاهلية إنه مجنون. وأنتم تقولون إن صاحب هذا الإعلان «بل قولوا أصحاب» هو سكران، وإن كلامه هذيان، فإن كان سكرانكم يعتني بأموركم فهو خير من صاحبيكم الذي لا يهتمه أمركم ولا حفظ ناموسكم وباليتمكم كلكم سكارى. نحن الذين يحيون الليل بإعمال دولاب الأفكار، ويقضون النهار باستكشاف الحوادث والأخبار، فلولا موتنا لما كنا للترك أذلاء عبيداً، ولولا شقاقنا لم نكن عند الإفرنج حجارة وحديداً، أين نخوتكم العربية أين حميتكم السورية، عودوا يا قوم والعود أحمد، ولا تقنطوا من رحمة الله، فلن يخفى القمر. ومن يعيش ير).

وقد لخصت الجمعية مطالبها بالنقاط التالية:

(بعد التشاور مع زملائنا في جميع أنحاء البلاد، فقد تم وضع برنامج سننفذه ولو بحمد السيف إذا اقتضى الأمر) وأهم النقاط في ذلك البرنامج هي:

(١) إيراد سقراط الوثني في مصاف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مشعر بالتسوية بينهم، وهذا أمر مخالف لنصوص الكتاب والسنة {أفجعل المسلمين كاجرمين * مالكم كيف تحكمون} انظر: درء تعارض العقل والنقل-ابن تيمية- ١٥٩/٢، وموسوعة الملل والنحل - الشهرستاني - ١٦٢.

- ١ - منح سورية الاستقلال مُتحدةً مع جبل لبنان .
- ٢ - الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية في البلاد.
- ٣ - رفع الرقابة والقيود الأخرى التي تحد من حرية التعبير ونشر التعليم.
- ٤ - استخدام القوات المُنعدة من أهل تلك البلاد في المهام العسكرية الداخلية فيها فقط .^(١) كما كان للشعر دور في نشر مبادئ الجمعية، فقد انتشرت قصائدها ومما انتشر :
- تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طما الخطب حتى غاصت الركب
أقداركم في عيون الترك نازلة وحقكم بين أيدي الترك مغتصب
صبراً هيا أمة الترك التي ظلمت دهرًا فعمًا قليل ترفع الحجب
لنطلبن بجد السيف مأربنا فلن يخيب لنا في جنبه أرب
- وفيما عدا الشعراء، أدى المدرسون والكتّابُ من أعضاء هذه الجمعية دوراً كبيراً في ترويح مبادئها وشعاراتها، وكان عددهم اثني عشر رجلاً عند تأسيسها، فلم يلبث أن قفز إلى سبعين، من أبرزهم إلياس حبالين الماروني المذهب مدرساً للغة الفرنسية في كلية بيروت الأمريكية من عام (١٨٧١-١٨٧٤) - (١٢٨٨-١٢٩١هـ)^(٢)، وقد اعتنق مبادئ الماسونية، كان ثورياً في أفكاره ، وكان بعد

(١) يقظة العرب - جورج انطونيوس - ١٥٥ . وذكر المؤلف تفصيلاً تاماً عن هذه المنشورات ، وقام بتحليلها ودراستها .

(٢) العرب والترك - توفيق برو - ٤١ .

أن يختصر درس الفرنسية في صفوفه، يعود إلى موضوع السياسة فيكلم الطلاب عن وجوب التحرر من الأتراك والتخلص من حكومتهم الفاسدة الظالمة. وهكذا أصبح الطلبة وجميعهم نصارى من أشد أتباعه إخلاصاً وولاءً وراحوا ينشرون أفكاره بين الطلاب^(١).

ويقول عنه فارس نمر النصراني وهو - أحد معاصريه -: (. . . كان يُدرّس شبان سورية اللغة الفرنسية ولكنه وقف جهده على إرضاعهم لبان الحرية وإضرام نار البغض بين ضلوعهم للسلطة الاستبدادية سياسيةً كانت أم طائفية. وشاركه في هذا الفضل رجال العشيرة الماسونية في سورية من مسلمين ومسيحيين. فيا طالما سهروا الليالي وبذلوا الرخيص والغالي لإعداد أبناء سورية لقبول المبادئ الحرة والنظامات الدستورية^(٢).

ومن خلال تتبع آراء الجمعية السرية نجد أنها أضفت عليها القضايا السياسية عن طريق المطالبة بالانفصال عن الدولة العثمانية، وهي ضمن مناقشة موضوعات الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

والذي ينبغي أن يسطر في سجل هذه الجمعية أنها فكرة نصرانية ولدت في محافل الماسونية، وصنعتها أيدٍ نصرانية، ولذا يذهب بعض القوميّين أن غاية

(١) نشوء القوميّة العربيّة - زين نور الدين زين - ١٩٦ (حاشية)

(٢) مجلة المقتطف ج ٣٦ مارس ١٩١٠ - ص ٢٥٠-٢٧٠ - الكاتب فارس نمر . نقلًا من كتاب

نشوء القوميّة العربيّة - زين نور الدين زين - ١٩٦ (حاشية).

الجمعية قد جاءت مبكرة جداً^(١)، فكان تأثيرها على المجتمع الإسلامي ضعيفاً جداً. لذا كان مآل الجمعية في زمن ١٨٨٢-١٨٨٣ (١٢٩٩-١٣٠٠هـ) أن أوقفت الجمعية السرية - التي ظلت تعمل سراً دون أن يعلم أحد بها - نشاطها وأحرقت وثائقها، واعتبرت نفسها جمعية منحلة^(٢).

(١) يقظة العرب - جورج انطونيوس - ١٥٦ . وانظر:

١. نشوء القومية العربية - زين نور الدين زين - ٦٩

٢. القومية العربية - مصطفى الشهابي - ٤٨.

٣. العرب والترك - توفيق برو - ٤٣.

(٢) نشوء القومية العربية - زين نور الدين زين - ٦١.

٣. جمعية رابطة الوطن العربي:

تعتبر جمعية رابطة الوطن العربي من أوائل الجمعيات التي نادى بالانفصال عن الدولة العثمانية، ومؤسسها نجيب عازوري، وهو عربي نصراني، تولى منصب نائب متصرف القدس بين عامي ١٨٩٩-١٩٠٤ (١٣١٧-١٣٢٢ هـ)، ثم احتل مع رئيسه كاظم بك متصرف القدس بسبب سوء الإدارة العثمانية فاستقال، وقام بجولة في مدن الشام لمدة شهرين بعد استقالته، ودعا إلى إنشاء حزب سياسي جديد أسماه رابطة الوطن العربي^(١).

وبسبب أن دعوته إلى القومية العربية، قد خرجت في وقت مبكر وكان المجتمع على ولائه للخليفة، لم يجد مناصراً لدعوته، فهاجر إلى فرنسا وأسس عام ١٩٠٤ جمعية رابطة الوطن العربي في باريس بالاشتراك مع يوجين يونج، أحد موظفي مصلحة الاستعمار الفرنسي السابقين^(٢).

ولم أجد من الكتاب الذين كانت لهم كتابات عن الجمعيات القومية من اهتم بهذه الجمعية، فقد ذهب بعضهم إلى أنها أثارت شيئاً من الاهتمام في أوربة في ذلك الحين، ولكن أثرها في الحركة العربية نفسها كان ضئيلاً^(٣). وكان السبب في ذلك كما ذكر سابقاً أن المبدأ الذي دعت إليه كان غريباً على

(١) حركة اليقظة العربية-محمود منسي-١٠٠.

(٢) المصدر نفسه-١٠٠.

(٣) يقظة العرب-جورج انطونيوس-١٧٣.

المجتمع المسلم، وأيضاً: ظهورها في عاصمة أجنبية — باريس — وبلغة أجنبية كان أمراً في ذاته يدعو إلى شلها والحد منها^(١).

ومن أجل نشر مبادئ جمعية رابطة الوطن العربي فإن نجيب عازوري ألف كتاباً لمناصرة فكرته والتي أوجزها بعبارة (الاستقلال الذاتي للبلاد العربية) وسمى الكتاب «يقظة الأمة العربية»، كتبه باللغة الفرنسية. وقد تُرجم إلى اللغة العربية^(٢). إلا أن أعضاء الجمعيات القومية العربية كما انتقدوا الجمعية كذلك لم يهتموا بالكتاب، فقد قال مصطفى الشهابي^(٣) عنه: (أنا على يقين من أن كتاب العازوري لم يكن عند أحد من شباب جمعية النهضة العربية، ولا عند أحد ممن ألفوا عقب إعلان الدستور العثماني — المشروطية الثانية — الجمعيات والمؤسسات القومية العربية المختلفة. وفي سنة ١٩١١م (١٣٣٠هـ) وجدته يباع في إحدى مكتبات باريس فاشتريته ودلت بعض الرفاق من الطلاب العرب عليه، فلم يهتموا به، لأنهم كانوا قد شبوا عن الطوق، وعرفوا من شؤون القومية العربية وواجباتهم فيها ما لم يعرفه غيرهم)^(٤).

(١) المصدر نفسه-١٧٣. وانظر:

١. القومية العربية-مصطفى الشهابي-٥٩

٢. نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة-١٠٢.

(٢) يقظة الأمة العربية-نجيب عازوري- تعريب أحمد بو ملحم-المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت.

(٣) انظر الترجمة رقم (٦٦).

(٤) القومية العربية-مصطفى الشهابي-٥٩.

وقد أصدر نجيب عازوري في سنة ١٩٠٧م (١٣٢٥هـ) هو وجماعة من الكتاب الفرنسيين في باريس مجلة شهرية عنوانها «الاستقلال العربي» لم تعش أكثر من سنة وبعض السنة هدفها تعريف الغرب بالقضية العربية. وقد صدر العدد الأول منها في أبريل ١٩٠٧م والعدد الأخير في سبتمبر ١٩٠٨م، وفيها ذكر عازوري أن جميع ما يسعى إليه العرب سوف يتم تحقيقه. ورغم أن المجلة قد لفتت الأنظار في أوروبا في ذلك الوقت، إلا أنها فيما يختص بالحركة القومية العربية كان تأثيرها لا يكاد يذكر^(١).

مبادئ وتنظيم الجمعية:

إن كتاب (يقظة الأمة العربية) لنجيب عازوري قد احتوى مبادئ الجمعية، ومن خلال دراسة الكتاب المذكور لبيان مبادئ الجمعية نستنتج ما يلي:

١- القدح بالسلطان عبدالحميد: لقد شغل كتاب يقظة الأمة العربية صفحات كثيرة بقدح السلطان عبدالحميد والدولة العثمانية، فمما جاء في كتابه: (كيف يجرؤ التركي عبدالحميد الادعاء بأنه خليفة، وكيف يكون خليفة ولا يفهم العربية .. هو قاتل كاذب يسرق رعاياه، ويحكم بالإعدام على حجاج مكة، يوفر الحماية للمجرمين)^(٢). وبتعبير مختصر عرف الدولة العثمانية بأنها (جماعة من قطاع الطرق يقودهم مجرم، فهي لا تكتفي فقط بالأعمال شيئاً

(١) حركة اليقظة العربية-محمود منسي-١٠٣.

(٢) يقظة الأمة العربية -نجيب عازوري-٢٢٠.

لتحسين وضع الفلاح، ولكنها تعمل بانتظام لتخريب هذا البلد التعميس تدريجياً.
لا أمن ولا سلام ولا عدالة في تركيا^(١).

٢ — فصل الدين عن الدولة: لقد نادى بوجوب فصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية، وإقامة إمبراطورية عربية تمتد من الفرات ودجلة إلى خليج السويس، ومن المتوسط حتى بحر عمان^(٢).

وقد علل عازوري وجوب فصل الدين عن الدولة بقوله:

أ — إن سيادة خليفة الإسلام على كافة مسلمي الأرض المجتمعين في دولة واحدة أمر يبدو مستحيلاً دائماً.

ب — إن أحد الأسباب الرئيسية لسقوط الإمبراطورية العربية العظيمة هو تركيز السلطتين المدنية والروحية والجمع بينهما في يد واحدة.

ج — إن خليفة نبي الله يجب أن يتمتع بنفوذ أو هبة روحية بلا منازع، ويجب أن يبقى محترماً لا ينتقد طوال حياته، ولا يُرتقى إلى سلطته، ويجب أن تبقى عظيمته مستقلة^(٣).

٣ — دعوة فرنسا لاستعمار البلاد العربية: (لا يملك أحد الحق في حكمنا غير فرنسا، ولن يُهتف بحرارة لأي دولة غيرها إذا نزلت في البلدان العربية، يوم

(١) المصدر السابق نفسه - ٦١.

(٢) المصدر السابق نفسه - ٢١٩.

(٣) يقظة الأمة العربية - نجيب عازوري - ٢٢٠.

يستقرر تجزئة الإمبراطورية التركية. ومع أن الدول الأخرى لا يمكنها أن تسمح بالسيطرة على شعب غمرته فرنسا بفضلها حين يدعوها كي تنقذه من العبودية^(١). (لا يقبل الألبانيون وهم شعب شديد المراس وغيور على استقلاله، أبداً بأي احتلال أجنبي مهما كان .. نحن خلاف ذلك في سوريا مسيحيين ومسلمين نحن المسحوقين، نستقبل بفرح أول دولة تأتي لتنتزعنا من العبودية)^(٢).
وتخصيص فرنسا دون غيرها من الدول، لأن فرنسا تمتلك حقوقاً ومصالح أكثر من غيرها في شطري الإمبراطورية العثمانية الأوربي والآسيوي. لفرنسا عدا الإرساليات التي لا تحصى وبيوت التعليم والأيتام والمستشفيات والمدارس .. رؤوس أموال ضخمة تستثمر في مشاريع .

إن حقوقها أكثر وأقدم ومصالحها أهم وأكثر تركزاً في البلدان العربية عن سواها في المناطق. إن مقام فرنسا ونشاطاتها في بلاد الرافدين وسوريا وفلسطين يتحديان كل مزاحمة^(٣).

٤— الثناء على الأفكار والمبادئ النصرانية: لقد أكثر عازوري من الإطراء على المبادئ الكافرة فمما قال: (تعتبر فرنسا مشعل الحضارة والحرية الأسطع إشعاعاً، إلى جانب كونها حامية المقهور، المأوى السخي للفكر والقيم الإنسانية. وعندما يخدم هذا المشعل سيعاني العالم إلى مدى طويل قلقاً عاماً)^(٤).

(١) المصدر نفسه - ١٣٤.

(٢) المصدر نفسه - ١٥٠.

(٣) المصدر نفسه - ١٢١.

(٤) المصدر السابق نفسه - ١١٦.

ويتميز النظام الإنكليزي باللامبالاة الكلية حيال كل ما يتعلق بالأخلاق والروح، وبالحفاظ على الأديان والطوائف والمؤسسات الغريبة والعجبية التي يسمح لها بالعمل على قدم المساواة... هذه مملكة الحرية المطلقة^(١).

٥- الدعوة إلى توحيد الأديان: لقد شارك نجيب عازوري بمحافل الماسونية، وأسس محفلاً ماسونياً في القاهرة، وأصبح مدير جريدة مصر اليومية فترة من الزمن^(٢)، ولهذا فإن مبدأ توحيد الأديان قد تنبأه من منطلق عقائدي وليس من منطلق الاتحاد من أجل استقلال البلاد العربية، ومن أقواله في هذه القضية (إن قاطني هذه البلدان - العربية - الشاسعة لا يتميز بعضهم عن البعض الآخر إلا بالأديان والطوائف والمذاهب التي لا تحصى، أرجوك أن تحصى: مسلمون سنيون، مسلمون شيعة، ونصيريون، ودروز، وموارنة... وكاثوليك إنما حقيقة شائنة... التعصب الديني ليس سوى تطور في المصلحة الشخصية.. إن التعصب القومي شعور عفوي وفطري تقريباً كمثل الشعور العائلي الذي يأخذه بعين الاعتبار كل سياسي، والذي يوجب إبعاد كل قضية دينية^(٣)).

إن الجمعيات القومية العربية، سألقة الذكر كانت قبل إعلان الدستور وإلزام السلطان عبد الحميد بإعلانه، وتسمى هذه الفترة بالمشروطية الأولى.

(١) المصدر نفسه- ١١٧.

(٢) الثورة العربية ١٩٠٦-١٩١٦-آحن جنك-١/٣٣. (نقلا من مقدمة كتاب بقظة الأمة العربية-

١٩)

(٣) بقظة الأمة العربية-نجيب عازوري- ١٦٧.

ولست هي الجمعيات الوحيدة التي أنشأها القوميون في المجتمع الإسلامي، لكن ما ذكر يعتبر من أبرز الجمعيات في طرح المواقف القومية واتخاذ الأساليب لها.

المبحث الثاني

الجمعيات القومية خلال المشروطية الثانية

سبق التعريف بالمشروطية الثانية بأنها، هي: المرسوم الذي أصدره السلطان عبدالحميد من تاريخ ١٩٠٨م بإعادة الدستور. وفي خلال هذه المرحلة أسقط السلطان عبدالحميد، وانتقل الحكم إلى جمعية الاتحاد والترقي، حتى كان تمزق الدولة العثمانية وسقوطها كمسمى دولة، وتحولت إلى جمهورية على يد مصطفى كمال أتاتورك ١٩٢٤م.

وتعد هذه الفترة في تاريخ الحركة القومية من أخصب فتراتها في تأسيس الجمعيات القومية، حيث صدر القرار الدستوري بحرية تأسيس جمعيات قومية، وتمكن من قيادة الدولة من تشربت قلوبهم وتأثرت عقولهم بالمبادئ الصليبية والماسونية^(١). ومن الجمعيات القومية العربية التي تأسست في هذه الفترة، ما يلي:

(١) انظر: الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري-رسالة دكتوراه- سهيل صابان- ص ٨.

١. جمعية الإخاء العربي العثماني:

إن تأسيس جمعية الإخاء العربي وما يليها من الجمعيات القومية العربية في فترة المشروطية الثانية. كانت الدولة العثمانية تمر بحالة تختلف عن الأحوال التي ظهرت فيها الجمعيات سابقة الذكر. فإن تاريخ ١٩٠٨ (١٣٢٦هـ) يعتبره القوميون عصر الانفتاح والحرية الفكرية والعقائدية، حيث أعلن الدستور وأطلق سراح جميع المعتقلين السياسيين، ورفعت القيود التي كانت مفروضة على المنفيين والمبعدين. وبعكس ذلك: اعتقل صناديد عهد الاستبداد، وبدأ البحث عن مصادر الثروة التي اكتتروها، وضروب المظالم التي ارتكبوها^(١) فكان هذا التاريخ بداية عهد قميش الخليفة وإسقاط السلطان عبد الحميد من الحكم وانتقال زمام أمور الدولة إلى جمعية الاتحاد والترقي، والتقرب من العالم الغربي .

لقد أجمع^(٢) الذين دونوا تاريخ القضية العربية على أن جمعية الإخاء العربي هي أول جمعية عربية تأسست بعد إعلان الدستور العثماني في سنة ١٩٠٨ وأنشأت نادياً لها .

وقد افتتحت الجمعية رسمياً وسط مظاهر الحماسة في اجتماع كبير عقده الجالية العربية في القسطنطينية ، وحضره أعضاء من جمعية الاتحاد والترقي^(٣)، بل إن من أبرز المنشئين لجمعية الإخاء العربي هم من كبار موظفي العرب في العهد

(١) البلاد العربية والدولة العثمانية - ساطع الحصري - ٩٥ - جامعة الدول العربية - ١٩٥٧ .

(٢) الثورة العربية الكبرى - أمين سعيد - ٧/١ - مطابع عيسى البابي الحلبي - مصر .

(٣) يقظة العرب - جورج انطونوس - ١٧٧ .

الحميدي، خافوا على مناصبهم في الدور الجديد فاستعانوا ببعض الشبان المتحمسين وأسسوا هذه الجمعية للدفاع عن مناصبهم^(١).

ومنهم: شفيق المؤيد العظم^(٢)، وصادق المؤيد العظم^(٣)، وشكري الأيوبي^(٤) (من دمشق) وشكري الحسيني (من القدس)^(٥) وتأسست لجمعية الإخاء العربي فروغ خارج استنبول في سورية والعراق، وأخذت الإعانات تتوارد للجمعية من أنحاء شتى، فعلى ما ذكره شكري الحسيني أن أحد نصارى العرب والمقيم في أمريكا بعث مكتوباً ذكر فيه أنه سيرسل ألف دولار لتصرف في سبيل تشكيلات الجمعية^(٦).

مبادئ وتنظيم الجمعية:

أصدرت جمعية الإخاء العربي، مجلة باسمها وتولى أحد مؤسسيها إصدارها، فكانت إحدى الوسائل التي بينت فيها الجمعية مبادئها وقوانينها، والتي يمكن إيراد بعضها بما يلي:

(١) الثورة العربية الكبرى - أمين سعيد - ٧/١ .

(٢) انظر الترجمة رقم (٣٦).

(٣) انظر الترجمة رقم (٣٩).

(٤) انظر الترجمة رقم (٣٧).

(٥) نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة - ٣٥٠.

(٦) إيضاحات عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العربي المتشكل بعاليه - جمال

باشا - ٩ - طنين - ١٣٣٤

- ١ — نصت المادة الأولى: جمعية الإخاء العربي العثماني نشأت في دار الخلافة مؤلفة من أبناء العرب العثمانيين على اختلاف مللهم ونحلهم .
- ٢ — يحق لكل فرد من أبناء العرب — والعربي كل من ينتسب إلى العرب مولداً وموطناً — أن يكون عضواً في جمعية الإخاء العربي العثماني. بشرط أن يكون متصفاً بحسن الخلق والشهرة ، غير محكوم عليه بجرم جنائي أو إفلاس احتيالي ولا ساقط من الحقوق المدنية .
- ٣ — مقصد جمعية الإخاء العربي العثماني هو: معاونة جمعية الاتحاد والترقي في سبيل المحافظة على أحكام القانون الأساسي (الدستور) وجمع كلمة الملل المختلفة العثمانية بدون تفريق في الجنس والمذهب . وتمكين الرابطة الجامعة بينهم، وذلك لأجل خدمة الدولة العثمانية وإصلاح الشؤون المختلفة.
- ٤ — السعي لإعلاء شأن الأمة العربية واتخاذ جميع الوسائل والتدابير لنشر أنوار العلوم والمعارف بين أبنائها كتأسيس مدارس وطبع جرائد ..
- ٥ — إقناع أهل البداوة للإقلاع عن عادتهم المستهجنة وعداوتهم المستعرة بينهم، وإسكانهم في محلات ثابتة، وتعويدهم على مزاولة العوائد والحرف الحضريّة، وتنوير عقولهم بالعلم .
- ٦ — صيانة حقوق أبناء العرب جميعاً من الغدر والاعتساف وتبليغ شكاياتهم، ومستدعياتهم إلى مراجعتها الرسمية .

٧ — السعي في تأييد العدل والحرية والمساواة بين عناصر الأمة العثمانية وإزالة الضغائن وسوء التفاهم من بينهم.^(١)

ومن منطلق إبراز الدور القومي العربي فقد التزمت الجمعية مهمة استقبال نواب العرب حين قدموا من البلاد العربية إلى الأستانة للمرة الأولى ، فأعدت لهم الحفلات واستقبلهم أعضاؤها والطلاب العرب واحتفوا بهم^(٢).
ومما يلاحظ على مبادئ الجمعية أنها تعلن مبدأ وفاق العرب والترك جميعاً، وبخاصة أنها تأسست في بداية حكم جمعية الاتحاد والترقي^(٣).

ويرى بعض القوميين أن الجمعية لم تقم بنشاط مؤثر في مجال المنهج الذي رسمته، عدا بعض حفلاتٍ لاستقبال نواب العرب فإنها سجلت من دون ريب حقيقة بدء بروز الفكرة القومية بمعالها الواضحة في هذا الدور، وتحفز العرب للانتفاع بالأفق الذي فتحه إعلان الدستور أمامهم، والنهوض بكيانهم القومي^(٤).

(١) الثورة العربية الكبرى - أمين سعيد - ٧. وانظر:

* نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد دروزة - ٣٥١.

(٢) المصدر السابق نفسه - ٨. وانظر:

* القومية العربية - مصطفى الشهابي - ٦٨.

(٣) انظر: الحكومة العربية في دمشق - خيرية قاسية - ١٨.

(٤) حول الحركة العربية الحديثة - محمد دروزة - ٢٦/١.

إن أبرز ما يجب أن يشار إليه^(١) في مقاصد وأهداف جمعية الإخاء العربي، النقاط التالية:

١- (معاونة جمعية الاتحاد والترقي) لقد وضعت جمعية الإخاء العربي يدها في يد جمعية الاتحاد والترقي^(٢)، والتي كان أكثر أعضائها ما سونيين، بل إن أبرز مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي من أعضاء محفل (ما كدونيا ريزورتا) الشهير في (سلانيك) وكان تابعاً لإيطاليا، أمثال: طلعت باشا، وكاظم باشا، وما نياسي زاده رفيق^(٣).

٢- إعانة جمعية الإخاء العربي لجمعية الاتحاد والترقي كانت محصورة في المحافظة على أحكام القانون الأساسي - الدستور - ولم تنفرد جمعية الإخاء العربي بالمحافظة على أحكام الدستور، وإنما جميع الجمعيات القومية كانت تطالب بالعمل بالدستور.

إن الدستور المطالب به إنما هو من صنع مدحت باشا، الذي أكثر القوميون الثناء عليه والتمجيد له، والذي روجت له الدعاية الماسونية في أنحاء الشرق العربي والغربي على أنه البطل العظيم حامل لواء الإصلاح والحرية في

(١) في الباب الثاني - إن شاء الله - سيكون الحديث عن موقف الجمعيات القومية من العقيدة الإسلامية.

(٢) سيأتي الحديث إن شاء الله عن جمعية الاتحاد والترقي في الفصول القادمة.

(٣) الأوضاع الثقافية في تركيا في القرن الرابع عشر الهجري - سهيل صابان - رسالة دكتوراه لم تطبع - جامعة الإمام محمد بن سعود. وانظر: - الماسونية عقيدة المولد وعار النهاية - محمود الشاذلي - ٢٣٦ - مكتبة وهبه - مصر - الطبعة الأولى - ١٤٠٦هـ -

السلطنة العثمانية، وسمته (أبو الدستور)^(١) وفي الباب الثاني إن شاء الله تفصيل لهذه القضية.

٣ - ومما تجب الإشارة إليه عن مبادئ جمعية الإخاء العربي في مسألة الأصل الذي يعتصم به بين الناس جميعاً، هو (جمع كلمة الملل المختلفة العثمانية بدون تفریق في الجنس والمذهب) إن جمع الكلمة أمر قد حثت عليه الشريعة ونهت عن الفرقة، وإنما المبدأ الذي دعت إليه جمعية الإخاء العربي وغيرها من الجمعيات (بدون تفریق في الجنس والمذهب)، هو الشعار ذاته الذي نادى به الجمعيات القومية العربية.

٤ - إظهار المبدأ القومي، والدفاع عن حقوق الأمة العربية. كانت جمعية الإخاء العربي من أوائل الجمعيات التي نادى بهذا المبدأ بقرارها (صيانة حقوق أبناء العرب جميعاً).

ويرى القوميون أن هذه الجمعية لم تستطع أن تحقق شيئاً من ذلك، حيث فقد التجانس واختلاف التفكير وتفاوت العقيدة الوطنية فيهم، فهي لم تكدر تولد ١٩٠٨م حتى أغلقت الحكومة أبوابها سنة ١٩٠٩م^(٢). وألغوا جريدتها

(١) اليهودية والماسونية - عبدالرحمن الدوسري - ٧٠- دار السنة - الخبر - ١٤١٤هـ - الطبعة الأولى.

(٢) القومية العربية - مصطفى الشهابي - ٦٨. وانظر:

١. حول نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة - ٣٥٢.

٢. العرب والترك - توفيق برو - ١٠٧.

(الإخاء العثماني) ، بدعوى وقوع بعض ما لا يناسب في سورية، وظهور الأفكار الرجعية في تشكيلاتها وأعضائها^(١).

٢. جمعية المنتدى الأدبي:

لم تعش جمعية الإخاء العربي طويلاً، فنشأ على أنقاضها جمعية المنتدى الأدبي وهي من الجمعيات العلنية ، وكان تاريخ نشأة المنتدى في سنة ١٩٠٩م (١٣٢٧هـ)^(٢) ومؤسسوه خليطاً من الشيعة كعبدالكريم قاسم خليل، الذي تولى رئاسة المنتدى فترة طويلة حتى أغلق سنة (١٩١٥م-١٣٣٤هـ)^(٣) والمنتسبين إلى أهل السنة، ونصارى العرب منهم (رفيق سلوم^(٤) وأسعد داغر^(٥))^(٦).

وهذا الخلط العقائدي يعده بعض القوميين من مفاخر المنتدى الأدبي، فقد كان طابع العروبة هو الطابع المميز له، فاجتمع في رحابه المسلم السني والشيوعي والدرزي والمسيحي على اختلاف الطوائف إخواناً متحابين هدفهم مجد العروبة وبعثها^(٧).

(١) إيضاحات عن المسائل السياسية التي جرت تدقيقها بديوان الحرب العرفي المتشكل بعاليه-جمال باشا-١٠.

(٢) الثورة العربية الكبرى - أمين سعيد-٨/١.

(٣) الحركة العربية - سليمان موسى-١٠٢.

(٤) انظر الترجمة رقم (٢٨).

(٥) انظر الترجمة رقم (٤).

(٦) ذكرياتي على هامش القضية العربية -أسعد داغر- ٣٥.

(٧) نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة-٣٥٥.

وبظهور هذا المنتدى يلاحظ اختلاف طرح الجمعيات القومية لمبادئها، فكان المنتدى يمثل أحد الأساليب الجديدة والمناسبة للحال والواقع الذي أنشئ فيه لإحياء وبعث القومية العربية، واستقطاب أبناء العرب ممن يظهر عليهم النبوغ.

ويقول مصطفى الشهابي - أحد أعضاء المنتدى الأدبي -: كان مباءة العروبة في عاصمة الدولة، ففيه كان الطلاب الجدد يتلقون خطط الأتراك الاتحاديين الرامية إلى تسيّد القومية التركية والقضاء على القوميات السائرة في الدولة^(١).

مبادئ وتنظيم الجمعية:

من خلال تتبع آراء أعضاء الجمعيات القومية العربية، نجدتها تتفق على أن حركة المنتدى الأدبي قد نجحت إلى حد كبير، وقد ظل المنتدى مزدهراً نشيطاً في سبيل الفكرة والحركة العربية وأهدافها إلى سنة ١٩١٥ م.

فيرى أكثر أعضاء الجمعيات أن المنتدى كان من أهم مظاهر نشاط الحركة العربية الحديثة بعد الدستور ومغذياتها. ومن أهم عوامل ازدياد ذلك النشاط، واتساع دائرة الفكرة والتكثف حولها^(٢). فكان في المنتدى الأدبي أبرز الشخصيات التي قامت على جماجمهم النهضة العربية^(٣).

(١) القومية العربية - مصطفى الشهابي - ٧١.

(٢) نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزه - ٣٥٥.

(٣) مذكراتي على هامش القضية العربية - أسعد داغر - ٣٥.

والمنهج الذي سار عليه المنتدى الأدبي هو إعلان الولاء والوفاق العربي التركي وقد سمح به الاتحاديون — حيث قد صدر قانون يحظر قيام الجمعيات والأحزاب ذات الأهداف القومية السياسية—(١). فوضعوه زمناً تحت رعايتهم، لأن أهدافه لم تكن سياسية علنياً(٢) فكانت تقام فيه حفلات يدعى إليها رجال مشهورون من الترك رسميون وغير رسميين، ويخطب فيها بصدد ذلك، بل كان يعقد في المنتدى ندوات يشهدها شباب من الترك مع شباب من العرب فتجري فيها الأحاديث والمناظرات حول الأجداد القومية التركية والعربية، وبنه على عدم التعارض بين اهتمام كل فريق بمجد قوميته ونمو عواطفه القومية تحت لواء (العثمانية)(٣).

وكانت أهداف المنتدى القومية تبرز على الملأ فيما كان يلقي فيه من محاضرات وخطب، وما كان يقام فيه من حفلات، وما كان ينشر في مجلته من بحوث ومقالات وقصائد وأناشيد وطنية(٤).

لقد كانت السمة الظاهرة في نشاط المنتدى الأدبي، هي المناشط الأدبية والتعليمية فقد كان أعضاء المنتدى يمثلون بعض الروايات العربية التاريخية،

(١) الحركة العربية الكبرى- سليمان موسى-٣٢.

(٢) يقظة العرب -جورج انطونينوس-١٨٤.

(٣) نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزه-٣٥٥.

(٤) القومية العربية-مصطفى الشهابي-٧١.

كرواية صلاح الدين الأيوبي في مسرح دار الفرح ورصدوا ريعها له فدرت عليهم أرباحاً زائدة^(١).

وقد قدّم رئيس المنتدى الأدبي للنواب العرب خطة تتعلق بإصلاح المدارس الابتدائية في دوائرهم، وأبرز فيها الجانب القومي، واقترح عليهم برنامجاً يرمي إلى إنهاض البلاد العربية على دعامتين:

١ — توثيق عرى الإنحاء بين العرب على اختلاف أديانهم وطوائفهم حتى لا يذكر الواحد منهم في السياسة والوطنية غير عروبه الشريفة.

٢ — توحيد طرق التعليم في البلاد العربية حتى تتربى النفوس تربية واحدة ليسير جميع العرب في طريق واحدة وإلى غرض واحد.

فاستصوب النواب البرنامج وتعهدوا بتنفيذه بالتآزر مع المنتدى الأدبي، الذي تعهد بتضحيات مادية وأدبية، وبتطوع أعضاء المنتدى الأدبي المثقفين للتدريس في المدارس، علاوة على وظائفهم أو أعمالهم العادية^(٢).

لم يكن للمنتدى الأدبي صحيفة تخدم أغراضه في الفترة الأولى من تأسيسه، إنما كان الأعضاء يكتبون في الجرائد العربية التي كانت تصدر في الآستانة، كجريدة الحضارة والجرائد التي تصدر في سورية والقاهرة، وأراد مع ذلك أن ينشئ مجلة خاصة به، غير أنه قد صدرت مجلة باسم (لسان العرب) فأراد رئيس

(١) الثورة العربية الكبرى - أمين سعيد - ٨/١.

(٢) العرب والترك - توفيق برو - ٢٦٦.

المنتدى أن تكون هذه المجلة ناطقة باسم المنتدى، وأن يكون اسمها (المنتدى الأدبي) وأشرف عليها أحمد عزت الأعظمي^(١). وكانت مجال أقلام ونفثات شباب العرب وشعرائهم وأدبائهم وعلمائهم في كل ماله صلة بالعروبة وتاريخها وحقوقها ولغتها وأمانيتها، وبالتالي مظهراً من مظاهر الفكرة ودعامة من دعائم حركتها^(٢).

لقد كان المنتدى الأدبي حينئذ مرتعاً للأفكار القومية، وبث الولاء للقومية، ومما جاء في أحد المناظرات الثقافية في المنتدى: إننا عرب قبل كل شيء، المسلم عربي، والمسيحي عربي... و... و... أجل إننا عرب قبل أن نكون مسلمين، والمسيحي عربي قبل أن يكون مسيحياً... و... و... وقد تركنا مسألة الديانات والعبادات إلى الجوامع والكنائس^(٣).

ويحدث أسعد داغر — أحد الأعضاء المشاركين في المنتدى — عن أحد اجتماعات المنتدى الأدبي، والتي نوقش فيه قضية وجوب السعي إلى إنقاذ العرب: بالاستناد إلى فكرة الجامعة الإسلامية، أو أن القومية هي الأساس الذي يجب أن تقوم عليه الدول منذ الآن وأن الجهود كلها يجب أن توجه إلى خدمة الفكرة العربية مجردة من كل شيء؟

(١) انظر الترجمة رقم (١).

(٢) نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزه - ٣٥٦ وانظر: العرب والترك - توفيق برو - ٢٦٣.

(٣) جريدة الأهرام - عدد ١٠٦٨٢٥، بتاريخ ٢٢/٤/١٩١٣. انظر كتاب: العرب والترك - توفيق برو -

فكان الرأى الذى اتخذه المنتدى وصرح به العضو، حيث قال: يمكنى إعلانه الآن على رؤوس الأشهاد أنه لم يكن بين أصدقائى الذين قامت النهضة العربية على أكتافهم أو على جماجمهم، سواء فى سورية أم العراق أم فلسطين أم لبنان أم غيرها، من يفكر فى اتخاذ الفكرة الإسلامية أساساً للوحدة والاستقلال. بل إنهم جميعاً كانوا يعملون على تعزيز الروح القوميّة البحتة وإحياء مجد العرب على أساس هذه الروح^(١).

ولأسباب كثيرة من أبرزها التصادم بين العرب والترك^(٢) انخرط المسار الفكرى والمنهجى للمنتدى الأدبى، فتحوّل إلى مركز سياسى فأصبح يث الدعوة إلى الانفصال عن الترك وإعلان الاستقلال العربى، ويلقى فيه خطابات موضوعها تلقين التاريخ للطلبة بشكل يبعث على فكرة الاستقلال.

وقد صرح بعض مؤسسيه بأن للمنتدى تعليمات خفية لا يعلمها سوى أعضائه المؤسسين الذين كانوا يسعون وراء تلك التعليمات، منها: إن الأتراك يحكموننا مع أنهم أقل نفراً، والغاية من تأسيسه: أن يجمع كل الطلاب العرب ويث فيهم فكرة القوميّة ونهضة العرب بأية واسطة كانت، ولو بمساعدة الدول الأجنبية التى تؤدى إلى احتلال أو حماية. وكان هؤلاء كلما انتهى فريق منهم بدروسه حمل هذه الأفكار وبثها حيث يتعين من البلاد العربية^(٣).

(١) مذكراتى على هامش القضية العربية-أسعد داغر-٤٦.

(٢) الحكومة العربية فى دمشق-خيرية قاسميه-١٨.

(٣) الإيضاحات عن المسائل السياسية-جمال باشا-١٢ (بتصرف)

وقد أطلعت جمعية الاتحاد والترقي على النشاط السري للمنتدى الأدبي، كوجود النشرات التي تحرض العرب على الاستقلال وقتل الأتراك، وهي ترد للمنتدى ضمن الجرائد التي ترسل إلى مدير مجلة المنتدى ومحررها. وقد وجد في المنتدى رسائل^(١) تثبت أن له نشاط مع شباب في الخارج يعتمد عليهم فيما يُبث له من الأفكار .

وبعد هذه المعلومات عن المنتدى أصدرت جمعية الاتحاد والترقي قرارها في المنتدى الأدبي، وهو: أن المنتدى قد سمم أفكار الشبان الأبرياء الذين كانوا أثناء دوامهم على المكاتب في الآستانة يسعون لتأمين مستقبلهم وهم بسكينة تامة. حتى جعل بعضهم خادمين لآمال رجال اللامركزية تمام الخدمة. فكان السبب في إعدامهم نتيجة المحاكمة الأخيرة^(٢) .

صدر القرار ضد المنتدى الذي أعلن في بداية تأسيسه — وغيره من الجمعيات القومية — على مساندة جمعية الاتحاد والترقي لتحرير البلاد من الخلافة الإسلامية، وتحرير المجتمع من سلطة الدين والشرع . وقد انتشر أعضاؤه المتتابعون في البلاد العربية ييثون رسالته فيها^(٣) .

كأسعد داغر، والذي عمل في جامعة الدول العربية مديراً للمكتب الصحفي وقد سعى من خلال منصبه الإعلامي إلى دعوة أعضاء الجمعيات

(١) انظر صور الرسائل في : الإيضاحات عن المسائل السياسية-جمال باشا.

(٢) الإيضاحات عن المسائل السياسية -جمال باشا -١٦ (بتصرف).

(٣) القومية العربية-مصطفى الشهابي-٧١.

القومية العربية للعمل في الجامعة وأن يمدوا الجامعة بأرائهم وأفكارهم، فقد كتب إلى نبيه العظمة^(١) عام ١٩٤٦م (١٣٦٦هـ) ومما قال له: (إذا كنتم تعتقدون أن جامعة الدول العربية هي الأمل الوحيد لنا، — وأنا أعتقد ذلك — فأرجو أن تقوموا بالواجب نحوها)^(٢).

٣. الجمعية القحطانية:

يغلب على جميع الجمعيات القومية أن الداعي إلى تأسيسها أهداف علمية أو أدبية أو اجتماعية .. الخ، ولكن ظهر لدى القوميين فكرة تخصيص الجانب العسكري من قادة أركان حرب وضباط بنشاط قومي ذا صبغة سرية، فكانت جمعيتنا (القحطانية) و(العهد) تقومان بهذا الدور، وقد أنشئت الجمعية القحطانية السرية سنة ١٩٠٩م (١٣٢٧هـ) في استنبول، وانتظم كثير من ضباط العرب في سلكها، كما ضمت أيضاً بعض المدنيين^(٣).

وتشمل قيمتها في هذا التاريخ الذي عند جميع القوميات عموماً والقومية العربية خصوصاً عصر التحرر من الحكم المستبد، وتطبيق الحكم الدستوري الحر، وتظهر قيمتها في تاريخ الحركة العربية أنها حاولت أول محاولة معروفة لضم الضباط العرب في الجيش التركي ليزداد التعاون في ميدان الحركة

(١) انظر الترجمة رقم (٦٨).

(٢) الرعيل العربي الأول (حياة وأوراق نبيه العظمة) - جمع خيرية قاسميه - ١٣٤.

(٣) خيراتي في الحكم - حسن الحكيم - ٤٢. وانظر: الثورة العربية الكبرى - أمين السعيد - ١٠/١.

القومية^(١)، وكان من مؤسسي الجمعية القحطانية، خليل باشا حماده وزير الأوقاف، وعبد الحميد الزهراوي^(٢)، وعزيز علي المصري بكباشي^(٣) أركان حرب، وسليم الجزائري بكباشي^(٤) أركان حرب، وانضم إليها عزة الجندي^(٥)، وعبد الكريم الخليل، وعادل أرسلان^(٦).

وقد كان سبب كثرة المنتسبين إلى الجمعية القحطانية أن نظام الانتساب مفتوح لكل أحد دون استئذان من المركز، مع الإبقاء على سرية نظامها وبرامجها^(٧) التي لا يطلع عليها كل أحد إلا بشرط من كانت وطنيته فوق مستوى الشبهات وكان ممن يوثق بكتمانه السر^(٨).

وكان من سرية الجمعية القحطانية أنها مارست نشاطها السياسي بصورة شفوية، ولذا لم أجد — خلال بحثي — وثائق مكتوبة عنها كما في أغلب الجمعيات القومية. ومن أمثلة مبدأ السرية بين أعضائها هي: أن يضغط المسلم

(١) يقظة العرب - جورج انطونيوس - ١٨٦.

(٢) انظر الترجمة رقم (٤١).

(٣) انظر الترجمة رقم (٤٨).

(٤) انظر الترجمة رقم (٣١).

(٥) انظر الترجمة رقم (٤٧).

(٦) انظر: ١ - خيراتي في الحكم - حسن الحكيم - ٤٢.

٢ - الثورة العربية الكبرى - أمين سعيد - ١٠/١.

٣ - الإيضاحات - جمال باشا - ١٧.

(٧) الإيضاحات - جمال باشا - ١٧.

(٨) يقظة العرب - جورج انطونيوس - ١٨٦.

على أحد أصابع يد المسلم ثم يضع الشاهدة والوسطى على الذراع الأيسر ويخفي بقية الأصابع، ويهجي كلمة هلال عند المحادثة، فإذا قال الأول (هاء) قال الثاني (لام) ثم يقول الأول (ألف) فيقول الثاني (لام)^(١).

مبادئ وتنظيم الجمعية:

انطلاقاً من التكوين الحزبي للجمعية ولكونها بفتة الجيش خاصة، واتخاذها مبدأً وتنظيماً يتناسب مع طبيعة تكوين الأعضاء، وأنها ظهرت في عصر تغلبت فيه جمعية الاتحاد والترقي على السلطان عبدالحميد، وانطلاقاً من تصريح بعض أعضاء الجمعيات عن غاية الجمعية القحطانية، يمكن تلخيص مبادئها بما يلي:

- ١- بث المبادئ الصحيحة بين أبناء الأمة، وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف.
- ٢- أن تؤلف الولايات العربية مملكة واحدة تصبح جزءاً من إمبراطورية مزدوجة تركية عربية^(٢).
- ٣- إيقاظ العرب من سباتهم وتذكيرهم بماضيهم وبكياتهم القومي الحاضر.
- ٤- العمل على رفع مستوى العرب الثقافي والاجتماعي والاقتصادي.
- ٥- حثهم على التضامن والمطالبة بما لهم من حقوق مضاعة في الدولة^(٣).

(١) الثورة العربية- أمين السعيد- ١٠/١.

(٢) خيراتي في الحكم- حسن الحكيم- ٤٢.

(٣) القومية العربية- مصطفى الشهابي- ٦٩.

ويظهر من هذه المبادئ أثر التكوين الحزبي للجمعية القحطانية، إذ يغلب على مبادئها الطابع السياسي من حيث المطالبة بالحقوق المضاعة، وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف، وتأليف ولايات عربية. وهذه المبادئ قد وثقت برباط القومية العربية وتأصيلها بالمعتقد القومي، مع الحرص على تأكيد هذا الجانب والاهتمام به ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً.

وقد ظلت الجمعية القحطانية تنادي بهذه المبادئ وتعمل على تحقيقها في المجتمع المسلم حتى قرب قيام الحرب العالمية الأولى وبالتحديد عام ١٩١٣م (١٣٣٢هـ)، عندها انضم أعضاؤها إما إلى جمعية (العهد) أو (الفتاة) وإما إلى كليهما، فانصرف معظم نشاطهم إلى تينك الجمعيتين^(١).

٤. الجمعية اللامركزية:

أُنشئت الجمعية اللامركزية في تاريخ^(٢) ١٩١٢ (١٣٣٠هـ)، مع التأكيد على أن فكرة الحكم المركزي واللامركزي من أهم القضايا التي شغلت الجمعيات القومية. ولقد ناصر القوميون مهاجرة الأتراك في مؤتمر باريس ١٩٠٢م (١٣٢٠هـ) الذي ناقش موضوع الحكم المركزي واللامركزي، وفي هذا المؤتمر ظهر تياران متناقضان، أحدهما: ينادي بالحكم المركزي وهم أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، والآخر ينادي بالحكم اللامركزي.

(١) المصدر نفسه-٦٩.

(٢) نشوء القومية العربية-زين نور الدين زين-٩٢.

وبعد إسقاط السلطان عبدالحميد رفع شعار الحكم اللامركزي، وأن الدستور والحكم المركزي لا يجتمعان، إلا أن جمعية الاتحاد والترقي — والتي بيدها الحكم — أخذت تطبّق برنامجها المركزي وتقضي على من ينادي بـضد الحكم المركزي^(١).

ولسوء إدارة الحكم الاتحادي وظهور الضعف على الدولة في مقاومة الغزو الإيطالي. وبعد حرب البلقان^(٢) التي كانت قد انتهت في ذلك الحين إلى ضياع ست ولايات أوروبية، وانسحاب الـ(٥٥) نائباً الذي كانوا يمثلون تلك الولايات في مجلس (المبعوثان)^٣، وجد العرب أن الدولة أصبحت مقتصرة على الولايات العربية والولايات التركية مع وجود أقليات من الكرد والأرمن^(٤).

وبناء على هذه الحال أسست جماعة من السوريين — كان بينهم لبنانيون وفلسطينيون هاجروا إلى القاهرة — حزباً سياسياً بمعرفة الحكومة التركية، أطلقوا عليه اسم (حزب اللامركزية الإدارية العثماني)^(٥).

وتولى رئاسة الحزب والهيكل الإداري له من الشاميين المقيمين في مصر، ومع هذا لم يكن عملهم مقتصراً على الشام، فقد أسسوا أيضاً فروعاً للحزب في العراق، ولكنهم لم يتجاوزوا الولايات العربية إلى غير العربية^(٥).

(١) مجلة دراسات تاريخية - لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق - العدد ١١١ - سنة ١٤٠٣ - مفهوم اللامركزية - سهيلة الريماوي.

(٢) انظر تاريخ حرب البلقان - يوسف البستاني.

• مجلس المبعوثان: هو مجلس النواب العثماني وهو المعروف باسم (مجلس مبعوثان عثماني) الذي نص على تأسيسه الدستور العثماني. [ينظر إلى مذكرات سليم علي سلام - ١٣٠]

(٣) الحركة العربية - سليمان موسى - ٣٥.

(٤) نشوء القومية العربية - زين نور الدين زين - ٩٤.

(٥) القومية العربية - مصطفى الشهابي - ٨١.

وقد فوضت الجمعية عبدالكريم خليل — رئيس جمعية المنتدى الأدبي — أن يؤسس فرعاً للحزب يقوم برنامجه على اللامركزية في صيدا وصور وبعض مناطق جبل عامل^(١).

مفهوم الحكم اللامركزي :

قدمت الجمعية اللامركزية تعريفاً لمفهوم الحكم اللامركزي، هو: توزيع السلطة الإدارية على المراكز المختلفة المؤلف منها الجسم السياسي الاجتماعي، عوضاً عن حصرها في جزء واحد مركزي، ليتيسر لكل جزء الاهتمام بتدبير شؤونه الخاصة بنفسه عن علم، مع حفظ الصلة بالمركز حرصاً على مصلحة الكل^(٢).

مبادئ وتنظيم الجمعية:

من خلال دوافع إنشاء جمعية حزب اللامركزي، نجد أن أهدافها ذات شقين، الأول: أن تُبينَ للحكام في ترقية مدى الحاجة إلى اللامركزية الإدارية في الدولة، والثاني: أن تعبئ الرأي العام العربي لتأييد اللامركزية^(٣).

ولذا حرص أعضاء الجمعية اللامركزية — قبل أن تكون الجمعية علنية — استغلال تصريح الدولة العثمانية لجمعية الحرية والاتلاف، فانضموا تحت مظلتها لفتح فروع للجمعية اللامركزية^(٤).

(١) الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي-وجيه كوثراني-٢٤٤-بحسون الثقافية-١٩٨٦.

(٢) جريدة المحروسة، مقالة بقلم شبلي شميل بتاريخ ١٩١٣/٢٥ بعنوان اللامركزية والعمران. (نقلا من مجلة دراسات تاريخية العدد ١١ لعام ١٤٠٣، مقال سهيلة الربماوي

(٣) بقظة العرب-جورج انطونيوس-١٨٥.

(٤) نشأة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-٣٧١ (حاشية).

وبعد أن صرحت الحكومة الاتحادية للجمعية، قدمت الجمعية اللامركزية برنامجاً لا يخرج عن تحقيق هذا الهدف. وكانت مواد النظام الأساسي للجمعية تكفل قيام جهاز حزبي محكم. وقد وكل أمر الإشراف عليها لجنة من عشرين عضواً يقيمون في مصر تتألف من بينهم هيئة إدارية مكونة من ستة أعضاء^(١). ومواد البرنامج^(٢) ما يلي:

المادة الأولى: أُلّف حزب سياسي باسم (حزب اللامركزية الإدارية العثماني).

المادة الثانية: القصد من تأليف هذا الحزب بيان محسنات الإدارة اللامركزية في السلطنة العثمانية للشعب العثماني المؤلف من عناصر ذات أجناس ولغات وأديان وعادات مختلفة والمطالبة بكل الوسائل المشروعة بحكومة تُؤسس على قواعد اللامركزية الإدارية في جميع ولايات الدولة العثمانية.

المادة الثالثة: ليس هذا الحزب خفياً وليس فيه ما يعد من الأسرار، فهو ينشر مقصده المبني على المطالبة باللامركزية الواسعة جهرًا وعلانية دون خشية من أحد، لاعتقاده يقيناً أن الدولة لا تبقى في العالم السياسي إلا إذا بنيت حكومتها على أساس اللامركزية الإدارية.

(١) يقظة العرب - جورج انطونيوس - ١٨٥.

(٢) من المفيد عرض برنامج الحزب كاملاً ليعطي صورة عن التنظيم الداخلي والمنهج للعلاقات الخارجية.

المادة الرابعة: إن الدخول في حزب اللامركزية مباح لكل عثماني بلغ العشرين من العمر، على شرط أن يكون:

١. من المتمتعين بجميع الحقوق المدنية.

٢. غير محكوم عليه بحكم محل بالشرف.

٣. غير مشتهر بسوء السيرة.

٤. أن يقبل القواعد المبينة في برنامج الحزب .

المادة الخامسة: يكفي لمن يريد الدخول في الحزب أن يكون دليله أحد أعضاء الحزب مع موافقة لجنة الإدارة المحلية على ذلك. ولا يجوز قبول عضو مادام من حزب يخالف هذا الحزب في المبدأ والغاية.

المادة السادسة: للمنتمي إلى الحزب أن يستقيل من عضويته في أي وقت.

المادة السابعة: على العضو أن يدفع إلى الفرع المسجل فيه اسمه راتباً شهرياً أقله قرشان، ويقبل الحزب التبرعات ويعفي الفقراء من الراتب.

المادة الثامنة: لا يقيد الحزب أعضائه بشيء غير قواعد البرنامج السياسي الذي وضعه لأجله .

المادة التاسعة: على النواب (المبعوثين) المنتمين إلى الحزب أن يسعوا بكل ما في وسعهم لتنفيذ قواعد الحزب في المجلس .

المادة العاشرة: لا يسوغ لأحد من المنتمين إلى الحزب مراجعة الحكومة باسم الحزب من تلقاء أنفسهم، وإذا ثبت على أحد الأعضاء مثل هذا السلوك يحى اسمه من سجل الحزب.

المادة الحادية عشرة: إن مركز الحزب العام في مصر القاهرة، ويجوز لكل بلد أو قرية اجتمع فيها عشرة من أهلها على مبدأ اللامركزية الإدارية أن يؤسسوا فرعاً له ويخبروا المركز العام بذلك.

المادة الثانية عشرة: تتألف اللجنة العليا للحزب من ٢٠ عضواً ينتخب منهم رئيس ونائب رئيس وسكرتير ومساعدان له، وأمين للصندوق. ويجوز لهذه اللجنة أن تضم إليها من ترى فيه فائدة للحزب.

المادة الثالثة عشرة: إذا غاب الرئيس ونائبه يرأس الجلسة أحد أعضائها.

المادة الرابعة عشرة: كل فرع من فروع الحزب يتبع المادتين ١٢ و١٣ في تأليف لجنته الإدارية وانتخاب الرئيس والسكرتير وأمين الصندوق.

المادة الخامسة عشرة: يعقد كل فرع مؤتمراً فرعياً محلياً في شهر يونيو (حزيران) من كل سنة، يحضره جميع أعضاء الفرع، وتعقد اللجنة العليا مؤتمراً حزبياً عاماً في مصر القاهرة في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من كل سنة يحضره أعضاء اللجنة العليا وأفراد الحزب في المركز العام ومندوبون ترسلهم اللجان الفرعية.

المادة السادسة عشرة: يرسل كل فرع للمؤتمر العام مندوباً من قبله.

المادة السابعة عشرة: تنتخب كل لجنة إدارية رئيسها وسكرتيرها وأمين صندوقها من أعضائها بالاقتراع السري، وتُرفع إلى المركز العام في القاهرة نتيجة الاقتراع .

المادة الثامنة عشرة: على اللجان الإدارية الفرعية أن تسعى بكل الوسائل المشروعة لنشر مبادئ الحزب وتعميمها بين الناس وتكثير أفراد المحازبين، والاجتهاد في سبيل انتخاب نواب لمجلس المبعوثين وللمجالس العمومية والإدارية والبلدية من الأكفاء الذين على مبدأ الحزب.

المادة التاسعة عشرة: اللجنة العليا تضع تعديل القوانين واللوائح للحكومة اللامركزية وتسعى مع سائر اللجان والأفراد إلى إقناع الشعب والحكومة بها.

المادة العشرون: على اللجان الإدارية الفرعية أن تتخذ دفاتر لقيدها قراراتها وأسماء الأعضاء وموظفي فروع الحزب وأمواله.

المادة الحادية والعشرون: تجتمع اللجان كلما قضت الحال بدعوة من الرئيس أو نائبه، والعضو الذي لا يحضر الاجتماع أربع مرات متواليات من غير عذر يعد مستقيلاً من عضوية اللجنة .

المادة الثانية والعشرون: على السكرتير وأمين الصندوق في كل لجنة أن يقدموا إلى تلك اللجنة في آخر كل سنة كشفاً ببيان إيرادات الفرع ونفقاته عن تلك السنة، وعلى كل لجنة أن ترسل صورة من هذا الكشف إلى اللجنة العليا.

المادة الثالثة والعشرون: لا تعد مذكرات اللجان قانونية إلا إذا اجتمع نصف أعضائها على الأقل، وإذا كررت الدعوة اكتفى بمن حضر.

المادة الرابعة والعشرون: للجنة كل فرع الحرية التامة في أعمالها إلا ما قيدتها به قرارات اللجنة العليا أو المؤتمر العام.

المادة الخامسة والعشرون: على لجان الفروع أن ترسل إلى اللجنة العليا كل ثلاثة شهور كشفاً يحوي أسماء الذين دخلوا في خلال هذه المدة في الحزب، وأسماء الخارجين منه وسبب خروجهم والمتنقلين من مكان إلى مكان، وكشفاً آخر يحوي بيان أعمالها في المدة المذكورة.

المادة السادسة والعشرون: على اللجنة العليا أن تراقب سير أعمال لجان الفروع وحسن تنفيذ قوانين الحزب .

المادة السابعة والعشرون: على اللجنة العليا أن تهيب لا ئحة عن الحزب وأحواله، بناءً على ما يرد عليها من اللوائح والكشوف من لجان الفروع وترفعها إلى المؤتمر العام .

المادة الثامنة والعشرون: تجتمع الجمعيات العمومية والمؤتمر العام في مواعيدها المقررة حسب المادة (١٥) ويرأسها في كل مكان رئيس اللجنة الإدارية، وأما المركز العام فينعقد برئاسة اللجنة العليا .

المادة التاسعة والعشرون: تنظر كل جمعية عمومية في نتيجة الحسابات وفي بيان لجنة الإدارة عن أعمالها في السنة الماضية، وتصادق على الحسابات

الختامية، وتقرر ما يجب العمل به في السنة المقبلة، وتنتخب نصف أعضاء مجلس الإدارة وتفض بعد انتهاء عملها .

المادة الثلاثون: على سكرتير كل لجنة إدارية أن يقوم بضبط المحاضر ومقررات الجمعية العمومية. وعلى سكرتير اللجنة العليا ومساعديه أن يقوموا بضبط أعمال المؤتمر العام.

المادة الحادية والثلاثون: من خصائص المؤتمر العام الاطلاع على بيان اللجنة العليا عن أعمال الحزب في السنة الماضية، ورؤية حساباتها والتصديق عليها والذاكرة في كل ما يرفع إليه عن أعمال السنة المقبلة وتقريرها .

المادة الثانية والثلاثون: كل تغيير وتبديل في برنامج الحزب السياسي الأساسي من حقوق المؤتمر العام، ولا يتم ذلك إلا بطلب تحريري من اللجنة العليا أو لجنة من لجان الفروع، ويعمل بغالبية الآراء.

المادة الثالثة والثلاثون: على اللجنة العليا ولجان الفروع تنفيذ ما يقرره المؤتمر العام كل منها فيما يخصه^(١) .

وأخذت جريدة المنار^(٢)، — وصاحبها عضو من أعضاء هذا الحزب — على عاتقها أمر الدفاع عن مبادئه، ونشر بياناته، وشرح مبادئه، والطعن في مبدأ مركزية الحكم الذي اتخذته الاتحاديون خطة لهم^(٣) .

(١) ثورة العرب مقدماتها أسبابها نتائجها-أحد أعضاء الجمعيات-٥٧-٦٢-مطبعة المقطم - مصر- ١٩١٦ .

(٢) جريدة المنار-رشيد رضا-المجلد ١٦-الجزء ٨-ص٦٣٤-٦٤٠ وفي صفحات متعددة من المجلة.

(٣) العرب والترك-توفيق برو- ٣٥٩ .

إن برنامج جمعية اللامركزية يلتقي مع مبادئ جمعية الحرية والائتلاف، ولكن يزيد عليها بكونه أكثر وضوحاً ودقة في تحديد حقوق العناصر.

وقد قال رشيد رضا عن منهج الجمعية اللامركزية: (يجب أن يكون طلاب الإصلاح كافةً على رأي واحد في القواعد الإجمالية التي تطلب من الحكومة المركزية، لأن التفرق ضعف والاجتماع قوة، وحزب اللامركزية الإدارية في مصر لم يتعرض في برنامجه للتفصيل، لأن الاتفاق عليه متعذر فعسى أن يكون هو الجامع للجميع^(١)).

وكان لحزب اللامركزية دور مهم في مؤتمر باريس العربي فقد قررت لجنة المؤتمر أن ترتبط هذه اللجنة بحزب اللامركزية الإدارية في مصر بصفة رسمية وفي تاريخ ٤ نيسان أرسلت كتاباً إلى اللجنة العليا لحزب اللامركزية الإدارية في القاهرة تعرض عليها فيه أن تكون لجنة الحزب قدوة المؤتمر ومصدر عمله، وتقترح عليها انتخاب من يمثلها في المؤتمر وأنها ستعهد برئاسته إلى أحد ممثلي الحزب.

ومما جاء في الرسالة: (إلى رئاسة حزب اللامركزية وأعضائه الكرام نحن الجالية العربية في باريس، نقدم إليكم عواطف الشكر والمنة لتأليفكم حزب اللامركزية الإدارية، فقد جمعتم في برنامجكم الأماني التي يرتادها أبناء العرب لسعادتهم وترقيتهم في كل حين.... ذلك ما حمل الجالية على الاجتماع

(١) جريدة المنار - رشيد رضا - المجلد ١٦ - الجزء ٤ - ص ٢٨٠.

والبحث عن التدابير الواجب اتخاذها لوقاية الوطن المحبوب من الطوارئ وإصلاح أمور بلادنا على قاعدة اللامركزية فتكرموا علينا بالمؤازرة برأيكم حتى إذا كانت فكرة المؤتمر صالحة في نظركم بعثتم ممثلاً عن مركزكم لنبأه المكانة الرفيعة ونعضده على الغاية المنشودة .

وقد جاء رد الجمعية اللامركزية بما يلي: حضرات أعضاء لجنة المؤتمر العربي الكرام في مدينة باريس، تلقت اللجنة العليا لحزب اللامركزية بكل سرور وامتنان ما جاء في كتابكم الكريم من اعتمادكم على إخوانكم من أعضائها وإقراركم الانضمام إليها، وأن يكون المؤتمر الذي عزمتم على عقده باسمها وللغرض الذي تألف الحزب لأجله هو اللامركزية الإدارية. ... وقد أقرت على إرسال مندوبين من قبلها لحضور المؤتمر على أن يكون لهم حق النظر والمشاركة معكم في موضوعات المؤتمر حتى تكون موافقة لمبادئ الحزب وبرنامجه^(١) .

ومن أبرز موضوعات المؤتمر العربي الأول: ضرورة الإصلاح على قاعدة اللامركزية، الذي أكد فيه على أن المطالبة بالحكم اللامركزي لا يعني الانفصال عن الترك، وإنما يريدون به إصلاحاً ينهض بالبلاد من عثرتها، حتى ولو كانت الهيئة الحاكمة اليوم من صميم قريش.

فطالبو اللامركزية ينادون بحكومة يتساوى فيها جميع العثمانيين في الحقوق والواجبات، فلا يستأثر فريق بحق من الحقوق ولا يحرم فريق من حق من الحقوق

(١) المؤتمر العربي الأول - صور عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر - القاهرة - ١٣٣١ - ١٩١٣.

لا بداعي الجنس، ولا بداعي الدين عربياً كان أم تركيا أرمينياً أم كردياً، مسلماً أم مسيحياً إسرائيلياً أم درزياً^(١).

إن اشتراك النصارى في الجمعيات القومية، أو حتى في تأسيسها مسألة معروفة جيداً. ولكن اشتراك اليهود ووضع اعتبار لهم في تلك التشكيلات مسألة مريبة في تلك الجمعيات القومية، وبناء على تحقيق مبدأ اللامركزية في الحكم نرى الدكتور (نسيم ملول) أحد سكان يافا اليهود ينضم عضواً عاملاً إلى تشكيلات حزب اللامركزية منذ عام ١٩١٣م (١٣٣١هـ).

ونرى محمد الشنطي — أحد معتمدي اللامركزية — يكتب من فلسطين إلى مركز الحزب في القاهرة بأنه أدخل بعض اليهود في عضوية اللامركزية^(٢).

وأثناء انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس عام (١٩١٣م) تجاهل المؤتمر أمر الخطر الصهيوني على فلسطين مع أنه وردت إلى المؤتمر عشرات رسائل التأييد والتنديد بالخطر الصهيوني، وقد دعا مرسلوها إلى اتخاذ موقف حازم من المهجرة اليهودية، وإن من مجموع (٣٨٨) رسالة وردت إلى المؤتمر كانت (١٣٩) رسالة وردت من فلسطين^(٣).

(١) المؤتمر العربي الأول - صور عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية - ٩٨-١٠٦.

(٢) أوراق محب الدين الخطيب في القاهرة .

(٣) مواقف عربية من التفاهم مع الصهيونية - [١٩١٣-١٩١٤] - شؤون فلسطينية - بيروت - العدد ٣١ بتاريخ ١٩٧٤ ص: ١٣٥.

وقد حملت جريدة (الكرمل) نداءً عاماً لكل من يهتم بمصير فلسطين جاء فيه: (أيجوز لنا يا طلاب الإصلاح أن يتمنى بعضكم في مؤتمر باريس أن يكون محط مهاجري الروملي في الأناضول لتخفيف الشقة عن السوريين.. قولوا كلمة لمندوبي الحكومة أن تملك الأراضي للجمعيات الصهيونية .. يضعف القومية العربية وبالتالي الجامعة العثمانية)^(١).

يعد أعضاء الجمعيات القومية الجمعية اللامركزية من الجمعيات التي ساهمت في يقظة الأمة العربية، ونادت بطرح قوي في المطالبة بحقوق العرب في الدولة العثمانية، وذلك باتباع النظام اللامركزي^(٢).

إن تبني جمعية اللامركزية مقررات المؤتمر العربي الأول، قد كان له الأثر في نشر أهداف الجمعية، إلا أن موقف الدولة العثمانية من الاستجابة لقرارات المؤتمر، ومحاولة استمالة رئيس المؤتمر^(٣)، كان من أبرز انهيارات الجمعية اللامركزية.

• الروملي: تعرف باسم بلاد الروم، وهو اسم أطلقه الأتراك على الاقليم المؤلف من: تراقيا، ومكدونيا بين البلقان والبحر الأسود، وبحري مرمرية وبيجة وسلسلة جبال البلقان. وكانت الروملي تؤلف ولاية واحدة بلغ عدد سناجقها (٢٤).

(١) البعد القومي للقضية الفلسطينية-إبراهيم إبراهيم-٣٠-مركز دراسات الوحدة العربية.

(٢) القومية العربية-مصطفى الشهابي-٨٠. وانظر:

١. مجلة دراسات تاريخية- مقال سهيلة الريماوي- العدد الحادي عشر-ربيع الثاني ١٤٠٣- ص ١٥٢.

٢. الحركة العربية-سليمان موسى-٣٤.

٣. الحكومة العربية في دمشق-خيرية قاسميه-٢١.

(٣) انظر:

١. مذكراتي على هامش القضية العربية -أسعد داغر-٦٥-٦٧. وكان من نتائج قرارات المؤتمر: عدم قبول المناصب في الدولة العثمانية، وقد قبل عبدالحميد الزهراوي عضوية في مجلس الأعيان.

٢. مجلة دراسات تاريخية-العددان الخامس عشر والسادس عشر-١٩٨٤-مقال سهيلة الريماوي-صفحات من تاريخ الجمعيات.

وللتوافق المنهجي بين جمعية الحرية والائتلاف التركية تأسيساً، وبين جمعية اللامركزية العربية تأسيساً، فإن الجمعيتين تدعوان إلى الحكم اللامركزي وكان هذا من أكبر الدوافع التي جعلت جمعية الاتحاد والترقي تبطش بأعضاء الجمعية اللامركزية. فعمدت جمعية الاتحاد والترقي إلى مراقبة نشاط أعضاء جمعية اللامركزية.

وخلال البحث والمراقبة عثرت جمعية الاتحاد والترقي على وثائق تدين بما أعضاء جمعية اللامركزية، واتفق أن كان هناك رئيس الائتلافين صادق بك، وكان يتردد على رفيق العظم — رئيس الجمعية اللامركزية — فجرى بينهما شبه اتفاق بحيث يكون الحزبان معاً على قلب الاتحاديين، وأنهم إذا توافقوا أقاموا صدرًا أعظم^(١).

ولقد اعترف أحد مؤسسي الجمعية اللامركزية بأن الاتفاق الأول بين اللامركزية والائتلافيين كان بقصد إقامة وزارة ائتلافية في أثناء الحرب البلقانية لتكون عوناً على تنفيذ هذه الغاية التي هي من متمامات تقسيم الدولة العثمانية.

ومن الأمور التي أدينت بما جمعية اللامركزية: اتصال الإنكليز — سنة ١٩١٤م (١٣٣٢هـ) وقبل نشوب الحرب العالمية الأولى — بالجمعية اللامركزية من أجل أن تقوم الجمعية اللامركزية باستطلاع مواقف زعماء العرب، والكشف عن الخطة التي يسيرون عليها. وأنشأ الإنكليز اتصالات

(١) الإيضاحات عن المسائل السياسية - جمال باشا - ٤٤ .

محدودة مع قادة حزب اللامركزية بمصر، وكان رشيد رضا وكيل الحزب، ورفيقُ العظم رئيسه، ومحبُّ الدين الخطيب^(١) مساعدَ أمينه العام^(٢).

وبناء على هذه القضايا نفذت جمعية الاتحاد والترقي حكم القتل في بعض أعضاء اللامركزية، وذلك في سنة ١٩١٥ م (١٣٣٣هـ) وعدّوه من الأحزاب الثائرة على الدولة^(٣)، وانفرط عقد الجمعية اللامركزية سنة ١٩١٦ م (١٣٣٤هـ)^(٤).

ومن خلال تتبع آراء مؤسسي الجمعية اللامركزية نجد التناقض في منهجية الحكم والسياسة، فمن المؤسسين للجمعية شبلي شميل وهو نصراني المعتقد^(٥) والذي إليه يعزى نشر مذهب النشوء والارتقاء في الشرق العربي، وقد وصف هذا المذهب فقال: (والحق أنّ فضلَ دارونَ العظيمِ ليس في فكرةٍ وضع أساسِ هذا المذهب، بل بتأييده له بالأدلة العلمية الطبيعية، وجعله صالحاً لأن يطبق على الأحياء وحدها بل لأن يشمل الطبيعية كلها)^(٦).

وقد تبني شبلي شميل المبدأ الاشتراكي في الحكم، فقد قال: (إن الاشتراكية نتيجة لازمة لمقدمات ثابتة لا بد من الوصول إليها، لو بعد تذبذب طويل).

(١) انظر الترجمة رقم (٥٨).

(٢) أسرار الثورة العربية الكبرى-أمين سعيد-٣٧-٣٨-دار الكاتب العربي.

(٣) القومية العربية-مصطفى الشهابي-٨٢.

(٤) مجلة دراسات تاريخية-العددان الخامس عشر والسادس عشر-١٩٨٤.

(٥) انظر الترجمة رقم (٣٥).

(٦) المعاصرون-محمد كرد علي-٢٤٦-مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق-١٤٠١هـ.

الاشتراكية كالاتحاد نفسه ذات نوايس طبيعية تدعو إليها) وفي مقابل دعوته إلى الاشتراكية، هاجم الدين، فقال: (إن أوربا أصبحت قوية عندما حطم الإصلاح الديني والثورة الفرنسية سيطرة رجال الدين على المجتمع)^(١).

ولوجود أعضاء نصارى في الهيئة الإدارية للجمعية تأثيراً على منهج فكرة اللامركزية في الحكم، وقد بين رئيس الجمعية أن الأعضاء المسيحيين يستدرجوننا إلى الرضا بالاحتلال الفرنسي والعمل له، وأن أمين سر الجمعية أخيره: بأنه أتى رجل مسلم غير معروف إلى خليل — خليل أيوب وهو نصراي — يقول له: (لماذا أنتم تشتغلون مع رفيق — رفيق العظم رئيس الجمعية — وأصحابه؟ فقال له: نحن نريد أن نتخذ هؤلاء المسلمين آلة للاحتلال الفرنسي)^(٢).

ومطالبة الجمعية اللامركزية بالحكم المركزي تختلف مبررات المؤسسين لهذا المطلب، فمنهم من يرى أن اللامركزية داخل الحكم العثماني، الذي هم أصحاب الملك^(٣). وأن كل ولاية من ولاياتها تعد جزءاً من السلطنة، لا ينفك عنها بحال من الأحوال^(٤).

(١) العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦-عبدالكريم رافق-٥١٨-أطلس-دمشق-الطبعة الأولى-١٩٧٤.

(٢) مجلة دراسات تاريخية-العددان الخامس عشر والسادس عشر-١٩٨٤-مقال سهيلة الريمائي.

(٣) مجلة دراسات تاريخية-العددان الخامس عشر والسادس عشر-١٩٨٤-مقال سهيلة الريمائي.

(٤) مجلة المنار-مجلد ١٦-ج ٢-فبراير ١٩١٣-ص ٢٢٧. وهو نص البيان.

بينما هناك رأي آخر يرى بأن الدولة ليست علاقتها بنا-العرب- حتى اليوم علاقة غاصب، سالب، ناهب، طامس* فإن كانت حكومتنا تظن أنها تستطيع أن تحكمنا اليوم كما حكمتنا في الماضي، ولم تخش انتفاضتنا عليها، أفلا تخشى الذين ينازعونها البقاء من خارج وهي بهذا الضعف وهم بتلك القوة^(١). وحينما تختلف مبررات المطالبة بالحكم اللامركزي يختلف المنهج والأسلوب في تحقيقه وتنفيذه.

٥. جمعية العهد:

أثناء فترة تقديم قرارات المؤتمر العربي الأول إلى الدولة العثمانية، واستبطاء الإصلاحات التي قدمها أعضاء الجمعيات القومية للدولة، ظهرت جمعية العهد في سنة ١٩١٣م.

فكان ظهور جمعية العهد والعلاقات بين الترك والعرب متأزماً، وأيضاً كان البرنامج الإصلاحي المقدم من جمعية اللامركزية لم يرق للمتطرفين من

* معنى الكلمات التالية:

١. سالب: السلب هو ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب ودابة وغيرها، وهو فاعل بمعنى مفعول: أي مسلوب وفيه حديث (من قتل قتيلاً فله سلبه) النهاية في شرح غريب الحديث والأثر-ابن الأثير-٢/٣٨٧ مادة (سلب) أنصار السنة المحمدية-باكستان).

٢. النهب: الغارة والسلب، ومنه قول الرسول ﷺ (ولا ينتهب نهبه ذات شرف يرفع الناس إليها أبصارهم وهو مؤمن)-النهاية في شرح غريب الحديث والأثر-ابن الأثير-٥/١٣٣ مادة (نهب) وانظر: لسان العرب-ابن منظور-١/٧٧٣-مادة (نهب)-دار صادر-بيروت.

(١) جريدة الأهرام-١٠٥٧٨ في ١٧/١٢/١٩١٢ (نقلا من كتاب العرب والترك ٣٦٢).

شبان العرب وضباطهم الذين رأوا أن يكون الإصلاح تاماً، وأن ينجز لا بالتدرج بل فوراً، وأن يسير على نظام اللامركزية التامة^(١).

وقد تولى تنظيمَ وأنشاءَ جمعية العهد عزيزُ بن علي المصري، الذي عين في هيئة أركان حرب الجيش الثالث في مقدونيه. وهناك انضم إلى جمعية الاتحاد والترقي، وكان أحد الضباط الذين قادوا الثورة العسكرية سنة ١٩٠٨م واشترك في الزحف على القسطنطينية. وكان نفوذه أعظم كثيراً من مستوى رتبته العسكرية، وسبب ذلك أنه كان يحاضر في وقت ما في كلية الأركان فاستطاع أن يستميل قلوب الجيل الناشئ من ضباط الجيش. فأنشأ جمعية العهد، ولم يقبل فيها من المدنيين أحداً.

ولما كان العنصر العراقي أكثر العناصر عدداً في الجيش العثماني لذلك كان له قوته في مجالس جمعية العهد وأنشأ لها فروعاً في بغداد والموصل^(٢). وقد تولى أمين سر جمعية العهد رشدي بن صالح ملحس^{(٣)(٤)}.

والصفة الأخرى لجمعية العهد أنها سرية، وتربط بينها وبين الجمعيات الأخرى — كالجمعية اللامركزية خاصةً —، روابط تحقيق الأهداف من الحكم اللامركزي.

(١) العرب والترك - توفيق برو - ٤٥٢.

(٢) يقظة العرب - جورج انطونوس - ١٩٦.

(٣) انظر الترجمة رقم (٢٦).

(٤) الأعلام - الزركلي - ٢١/٣.

ويرى أعضاء الجمعيات أن إنشاء هذا الحزب قد أحدث ضجة شديدة في دوائر الآستانة، لما عرف عن مؤسسه من الصلابة والقوة ولأنه تأسس في ظرف توترت فيه الصلات بين الاتحاديين والشبيبة العربية وأنه لقي تأييداً من الشبان الضباط العرب الذين التفوا حوله^(١).

مبادئ وتنظيم الجمعية:

إن الخطوة التي سعى إليها أعضاء الجمعيات القومية عند تأسيس جمعية خاصة بالقطاع العسكري تنبئ بأن مرحلة الوفاق بين العرب والترك قد انتهت. جرى تأسيس هذه الجمعية السرية التي أقسم أعضاؤها على أن لا يبوحوا بشيء عنها، وأن يعملوا لإدراك أغراضها. ووضع لها برنامج يتناسب مع تخصص أعضائها جاء فيه:

المادة الأولى: إن جمعية العهد جمعية سرية، أنشئت في الآستانة وغايتها السعي للاستقلال الداخلي لبلاد العرب، على أن تظل متحدة مع حكومة الآستانة اتحاد المجرم مع النمسا. وهذه المادة تتوافق مع المبدأ العام في تأسيس الجمعيات القومية العربية، وهو الدعوة إلى الحكم اللامركزي.

المادة الثانية: ترى جمعية العهد ضرورة بقاء الخلافة الإسلامية وديعة مقدسة بأيدي آل عثمان، مع سلب حقيقة ومضمون الخلافة الشرعية كمرحلة

(١) الثورة العربية الكبرى - أمين سعيد - ٤٧.

أولية وتُعقبها المرحلة النهائية وهي إلغاء الخلافة، كما سأيينه إن شاء الله في الباب الثالث.

المادة الثالثة: لما كانت الجمعية تعتقد أن الآستانة رأس الشرق وأن الشرق لا يعيش إذا اقتطعتها دولة أجنبية، فهي تُعنى عناية خاصة بالدفاع عنها وتعمل للمحافظة على سلامتها.

المادة الرابعة: لما كان الترك يؤلفون من ٦٠٠ سنة المخافر الأمامية للشرق أمام الغرب، فعلى العرب أن يعملوا للحصول على ما يؤهلهم لأن يكونوا القوى الاحتياطية الصالحة لهذه المخافر .

المادة الخامسة: على رجال العهد أن يُفرغوا قسارى جهدهم في إنماء المزايا المحمودة، وبث الدعوة للتمسك بالأخلاق الفاضلة، فالأمة لا تحتفظ بكيانها السياسي القومي ما لم تكن مجهزة بالأخلاق الصالحة القومية^(١).

وقد استنتج بعض من كتب عن هذه الجمعية بأن مفهوم استقلال العرب عن الدولة العثمانية، ليس واضح المعالم عن عزيز علي مؤسس الجمعية ، مما يؤكد أن صفة ارتجال هي التي كانت تطبع جمعية العهد^(٢).

ولذا كان أعضاء الجمعية قد تطلعوا من خلال برنامجهم إلى المحافظة على العروبة والإسلام؛ الإسلام من خلال الاحتفاظ بالسلطنة والخلافة؛ والعروبة من

(١) الثورة العربية الكبرى - أمين سعيد - ٤٧.

(٢) العرب والترك - توفيق برو - ٤٥٤.

خلال إعلان الاستقلال الذاتي، لا الإداري فحسب، بل السياسي أيضاً للولايات العربية. إذا أرادوا أن يكون للعرب دولة تجسم ذاتيتهم وقوميتهم، على أن تكون هذه الدولة في نطاق دولة أكبر هي الدولة العثمانية. ويكون السلطان — الخليفة — سلطاناً للعثمانيين من عرب وترك وملكاً للعرب في آن واحد. وبذلك تقوم مملكة عربية مستقلة، ويعود الملك العربي قائماً بذاته، ولكن هذه المملكة تبقى متصلة بالتاج العثماني، وبسائر الأجزاء العثمانية الأخرى في الشؤون العامة المشتركة^(١).

ويذهب «عزيز علي» إلى أن كل جماعة من جميع القوميات المختلفة يجب أن تبتكر النظام الأنسب لها في الحكم. وأما قضية الدين وما يتعلق به من شرائع وأحكام فقد قال بوجود التسامح الديني إلى أبعد حد في النظام الجديد، وأن معرفة الله من قبل جميع الطوائف يمكن أن تكون القاسم المشترك بينها، فيستغني عن بقية التفاصيل مع الزمن ومع الرقي، وبهذه الكيفية تتوحد الأديان واللغات^(٢).

إن قضية الدين التي هي في ميزان الله أهم القضايا وأول الضرورات، وقد اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس: وهي الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل^(٣).

(١) المصدر نفسه-٤٥٢ بتصرف.

(٢) المصدر نفسه-٤٥٤.

(٣) الموافقات في أصول الشريعة-٣٨/١.

وهذه الضروريات الخمس والتي من أهمها الحفاظ على الدين، هي من الضروريات التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتمارج وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين^(١).

فمبدأ جمعية العهد الحرص والمطالبة الشديدة والتنظيم الدقيق على الحكم واستقلال البلاد العربية، وأما القضية الأساسية في الحياة وهي (الدين) تترك للزمان والرقى ويكتفى بمعرفة الله. ولأهمية هذه القضية وغيرها من القضايا العقائدية خصص لها باب مستقل لمناقشتها.

إن تنظيم جمعية العهد ظهر بصورة يتناسب للتنظيم العسكري فهي جمعية سرية، وقد كان لها أثر في البلاد العربية^(٢)، ومن أبرز الآثار ما يلي:

١ - وجود علاقة ببعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي:

كان لجمعية العهد: علاقة ببعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي، فحينما تم اعتقال عزيز علي^(٣)، كان من ضباط الترك من يخلص إليه، ويعطف على قضيته، منهم الضابطان مصطفى كمال بك (أتاتورك فيما بعد)، وفتحى بك، سكرتير جمعية الاتحاد والترقي، اللذان صادفهما في طرابلس الغرب. وقد جاء في جريدة المؤيد أنهما بعثا ببرقيتي احتجاج إلى أنور بك لاعتقاله إياه^(٤).

(١) المصدر السابق نفسه - ٨/٢.

(٢) انظر القومية العربية - مصطفى الشهابي - ٨٠.

(٣) انظر: مذكراتي على هامش القضية العربية - ٤٩.

(٤) العرب والترك - توفيق برو - ٤٥٦.

وبعد وفاة الملك فيصل بن الشريف حسين : تم اجتماع بحضور كمال أتاتورك، ونوري السعيد، وقد أبلغ أتاتورك نوري السعيد أن الوقت قد حان بعد وفاة الملك فيصل أن تتفقوا على زعامة ياسين الهاشمي^(١)، الذي كان زميلاً لأتاتورك على مقاعد الدراسة العسكرية، فوافق السعيد وتشكلت وزارة ياسين الهاشمي عام ١٩٣٥م (١٣٥٣هـ)^(٢).

٢- تأييد ثورة الشريف حسين على الدولة العثمانية:

بلغ عدد الأعضاء المشاركين ٣١٥ ضابطاً من جملة ٤٩٠ ضابطاً^(٣)، وبلقاء سري تم بين أبرز المؤسسين لجمعية العهد مع الشريف فيصل بن الحسين قدموا للشريف فيصل بن الحسين قراراً اتخذته الجمعية، وهو إعلان الثورة ضد الدولة العثمانية، وإن غاية العرب هو الاستقلال حفاظاً على كيان البلاد العربية لأعداء الترك، أما إذا كانت البلاد عرضة لخطر الاستعمار الأوربي فالجمعية تعمل مع أحرار العرب للدفاع عن البلاد العربية جنباً إلى جنب مع الترك .

أبلغت جمعية العهد الشريف فيصل بن الحسين بأن سوريا لا تحتاج إلا إلى عزم الحسين على ترؤس الحركة التحريرية^(٤).

وقد تم في هذا اللقاء انضمام الشريف فيصل إلى الجمعية، وقد أعجب فيصل إعجاباً شديداً بتنظيم جمعية العهد، إذ كان زعماءها قادرين على أن

(١) انظر الترجمة رقم (٧١).

(٢) دولة الاستعارة القومية- حسن العلوي- ٨٠- دار الزوراء- لندن- ١٤١٤هـ-

(٣) الحركة العربية- سليمان موسى- ٣٤.

(٤) مذكراتي عن الثورة العربية- أحمد قدرى- ٣٨- دمشق- ١٩٥٦.

يوقدوا نار الثورة في صفوف الجيش حينما يشاءون، وذلك لأن الجنود العرب كانوا الأكثرية الغالبة في الفرق العثمانية المعسكرة في بلاد الشام حينئذ، كان قوادهم ومعظمهم أعضاء في الجمعية مستعدين أن يلبوا نداء هؤلاء الزعماء فيزحفوا مع جنودهم^(١).

٣ - تقديم مشروع حدود البلاد العربية خلال الحرب العالمية الأولى:

قدمت جمعيتا (العهد) و(الفتاة) لفیصل بن الحسين خطة عمل اتفقتا عليها. ووضعوا ميثاقاً يتضمن الشروط التي يطالب الزعماء العرب بتحقيقها لكي يؤازروا بريطانيا العظمى على تركية، واتفقوا على أن يحمل فيصل هذا الميثاق إلى مكة ويطلب من والده أن يعرف من الحكومة البريطانية هل تقبل هذه الشروط أساساً للعمل المشترك.... وقد استخدم الشريف حسين نصوص الميثاق حينما استأنفت مباحثاته مع بريطانيا العظمى^(٢).

٤ - مناصرة أعضاء جمعية العهد لحكومة الشريف فيصل:

ومن آثار جمعية العهد في خلال الثورة ضد الدولة العثمانية: أن عزيز علي المصري عهد إليه بالمسؤولية المترتبة على الشؤون العسكرية والسيطرة الفعلية على العمليات الحربية، وبدأ بتكوين جيش مدرب نظامي^(٣).

وقد كان لأعضاء جمعية العهد دور في تنظير السياسة العسكرية لبعض البلاد العربية، ويُخصَّص من أعضاء جمعية العهد الضباط العرب العراقيون، فقد

(١) يقظة العرب - جورج انطونيوس - ٢٤١.

(٢) المصدر السابق نفسه - ٢٤٣-٢٤٤.

(٣) الحكومة العربية في دمشق - خيرية قاسمية - ٣١.

شكلوا نسبة كبيرة في الجيش العربي وكان على رأسهم الفريق جعفر العسكري^(١) الذي عين قائداً عاماً لجيش الحجاز. وكان معظم هؤلاء الضباط في جيش فيصل بن الحسين الذي دخل سوريا وحررها أثناء الحرب وأقام حكومة عربية^(٢).

ومن أعضاء جمعية العهد ياسين الهاشمي الذي شغل منصب رئيس هيئة أركان الجيش العربي، في حكومة الملك فيصل بن الحسين^(٣). وقد طرح ياسين الهاشمي خلال فترة رئاسته في آذار ١٩٣٥م برنامجاً برزت فيه الاتجاهات الآتية:

- ١- التأكيد على الوحدة الوطنية وتجاوز التناقضات القبلية والطائفية.
- ٢- التأكيد على الوحدة العربية، والتلويح بإمكانية الاستفادة والإقضاء بالنظامين الألماني والإيطالي، كنموذج لنظام الحكم في العراق، وتبني تنشيط العلاقات بين العراق والأقطار العربية.
- ٣- إيجاد تحالف سياسي مع بعض الأطراف السياسية التقليدية الأساسية (جعفر العسكري، نوري السعيد، رشيد عالي)^(٤).

٤- مناصرة بعضهم لبعض في العمل القومي:

شكّلت في العراق حكومة انتقالية برئاسة عبدالرحمن النقيب^(٥)، تضمنت وزارة للدفاع أسندت إلى الفريق جعفر العسكري، الذي أخذ على عاتقه استدعاء زملائه المشتتين في سوريا والحجاز. وأولئك الذين انسحبوا مع الجيش

(١) انظر الترجمة رقم (١٥).

(٢) تأسيس الجيش العراقي - رجاء حسين الخطاب - ٢٣-الدار العربية-بغداد-الطبعة الثانية-١٩٨٢.

(٣) الحكومة العربية في دمشق-خيرية قاسمية-١٤٣.

(٤) تأسيس الجيش العراقي وتطور دوره السياسي من ١٩٢١-١٩٤١-رجاء حسين الخطاب-١١٩.

(٥) وُلد سنة ١٨٤١م من أسرة تنسب إلى الطائفة القادرية، وتوفي سنة ١٩٢٧ انظر(وجوه عراقية -

توفيق السويدي-٣٤)

العثماني من العراق أمام الحملة البريطانية، أو أولئك الذين تركوا الجيش العثماني وبقوا في العراق^(١). وبسبب هذا التجمع القومي في الجيش العراقي ظهرت كتلة من الضباط أطلقت على نفسها كتلة الضباط القوميين سنة ١٩٢٧ (١٣٤٦ هـ)^(٢).

وحيثما رفضت الحكومة البريطانية استقلال العراق، وبدأت الدعاية القومية وكانت أكبر حملات الدعاية تلك التي قامت بها جمعية العهد العراقي في الموصل، التي أدخلها جميل المدفعي^(٣)، وهو مواطن من الموصل، وعضو في حكومة فيصل. وكانت الجمعية على اتصال بالجمعية الأم في دمشق وتشمل عدداً كبيراً من المثقفين وتظهر عداوة للإدارة البريطانية على شكل احتجاجات ومنشورات ضد الحكومة تدعو للثورة، وتطور النشاط القومي من الاستياء إلى التحدي الصريح^(٤).

٥- الوصول إلى رئاسة الدولة:

ومن أخطر آثار جمعية العهد أن بعض أعضاء الجمعية، والجمعيات القومية العربية الأخرى، قد وصل إلى رئاسة بعض الدول العربية^(٥). أمثال فيصل بن

(١) المصدر نفسه - ٢٥.

(٢) المصدر نفسه - ٥١.

(٣) انظر الترجمة رقم (١٦).

(٤) الحكومة العربية في دمشق - خيرية قاسمية - ١٨٨.

(٥) ينظر عن تولى بعض أعضاء جمعية العهد رئاسة بعض الدول: ١- العراق وقضايا الشرق العربي القومية - ممدوح الروسان - ١١.

٢. خيراتي في الحكم - حسن الحكيم - ٧-٢٧ - مجلة الشريعة - عمان - الطبعة الأولى - ١٣٩٨.

٣. تأسيس الجيش العراقي وتطوره السياسي من ١٩٢١-١٩٤١ - رجاء الخطاب - ١١٩.

٤. الحكومة العربية في دمشق - خيرية قاسمية - ١٨٨.

٥. مذكراتي نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية - توفيق السويدي - ٢٣ - دار الكتاب العربي.

الحسين، نوري السعيد^(١)، وتوفيق السويدي^(٢)، جميل المدفعي^(٣)، وهاشم الأتاسي وشكري القوتلي^(٤).

ومنذ سنة ١٩١٤ قبيل الحرب العالمية الأولى، شعرت حكومة الاتحاد والترقي بتكتل ضباط من العرب في حزب سياسي، فعقد اجتماع خاص في دار وزارة الحربية حضره الصدر الأعظم سعيد حليم باشا، فدرسوا التدابير الواجب اتخاذها لمقاومة الحركة العربية خاصة وجمعية العهد عامة، وقرروا المواد الآتية:

أ — إقصاء ضباط العرب المقيمين في الآستانة، وعددهم كما ظهر من كشف وزارة الحربية ٤٩٠ ضابطاً ينتمي ٣١٥ منهم للعهد. إلى المناطق التركية، كالأناضول* فلا يعود في إمكانهم القيام بأي عمل يساعد على زيادة الجفاء بين العرب والترك .

ب — تولية القيادة في البلاد العربية إلى الضباط الترك، وإقصاء الضباط العرب عنها والاستغناء عن خدمتهم بقدر الإمكان .

ج — الإسراع في تنفيذ سياسة تترك العناصر .. الخ^(٥) .

(١) انظر الترجمة رقم (٦٩).

(٢) انظر الترجمة رقم (١٢).

(٣) العراق وقضايا الشرق العربي القومية ١٩٤١-١٩٥٨-ممدوح الروسان-١١-١٢.

(٤) خيراتي في الحكم-دولة حسن الحكيم رئيس مجلس وزراء سوريا سابقاً ٩-١٩.

* الأناضول: شبه جزيرة وهي على امتداد الغرب من قارة آسيا. وهي تشكل ٩٧٪ من أراضي تركيا في الوقت الحاضر. ويطلق على اسم الأناضول اليوم على الأراضي التركية الواقعة في آسيا. انظر : دائرة المعارف الإسلامية-مادة الأناضول-١٠٦/٣.

(٥) الثورة العربية الكبرى-أمين السعيد-٤٧/١.

فبعثت جمعية الاتحاد والترقي كبار الضباط في الولايات التركية وسلبتهم قيادة الجند في الولايات العربية، وفي سنة ١٩١٦ (١٣٣٤هـ) قتلت من أعضاء جمعية العهد^(١) وانحلت عرى الجمعية بعد زوال الحكومة العربية الفيصلية من الشام، فقد لبث كثير من ضباطه يعملون فرادى في الحركات القومية^(٢).

٦. الجمعيات الإصلاحية:

أنشئت جمعيات قومية تنادي بإصلاح البلاد العربية، وكان هذا سنة ١٩١٢م، وبروز هذا المسمى (الإصلاحية) كان من آثار الجمعية اللامركزية. وظهرت الجمعيات الإصلاحية كان في ظرف سقوط حكومة الاتحاد والترقي، وقيام حكومة معارضة له برئاسة أحمد مختار باشا، وكان من أركانها كامل باشا. فنشأت الجمعيات الإصلاحية في بيروت، ودمشق، وحلب، وبغداد، والبصرة^(٣).

تختلف آراء بعض الكتاب في سبب نشأة هذه الجمعيات الإصلاحية، فمنهم من يذهب إلى أن سبب النشأة هو طلبُ والي بيروت رفعَ تقريرٍ إلى الحكومة الجديدة بما يدور على ألسنة الناس والصحف من اهتمام باللامركزية وتطلُّع إليها. فأصدرت الحكومة أمراً إليه ثم إلى ولاية البلاد العربية الأخرى

(١) القومية العربية-مصطفى الشهابي-٨٠.

(٢) انظر عن أبرز أسماء أعضاء جمعية العهد: نشأة الحرة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-٤٧٨.

(٣) نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-٣٩٩.

وغيرها تأمرهم بأن يطلبوا من أعيان البلاد ومستيريها تنظيم وتقديم لوائح بمطالبهم، فكان ذلك وسيلة لقيام جمعيات باسم (الجمعيّات الإصلاحية)^(١).

ومن الكتاب من يعلل سبب تأليف جمعيات الإصلاح بقوله: (لما كانت أكثرية سكان بيروت من الموارنة فقد أوجس مسلمو بيروت — وهم أقلية — شراً من الحركة الجديدة التي ظهرت في فرنسا إزاء سورية، وخافوا من أن تستغل الأكثرية الموارنة وهي معروفة بالعطف عليها، ولما ظهر من عجز الدولة وخوفاً من أن تحتل فرنسا البلاد متذرة بسوء الإدارة وبما لها من نفوذ أدبي ومصالح اقتصادية، فاجتمع أعيان بيروت وكبارها ونوابها وبحثوا الموقف وأبلغوا السوالي العثماني رغبتهم في إدخال الإصلاحات العاجلة، فرفع أمرهم إلى الباب العالي* ببرقية قال فيها: (وإذا لم تأخذ بالإصلاح الصحيح فالبلاد مفلتة من يدنا لا محالة) فأجابه يومئذ الصدر الأعظم بأن يدعو الشعب إلى تقديم مطالبه للنظر فيها)^(٢).

وأياً كان السبب فإن القضية الأساسية كانت منذ نشأة الجمعيات الإصلاحية هي المطالبة بحكم لا مركزي، ولذا قدمت لوائح بالإصلاحات

(١) المصدر السابق نفسه-٣٩٩.

* الباب العالي هو: أحد المسميات في الترتيب الإداري الداخلي للدولة العثمانية، وقد كان من إنشاء السلطان محمد الفاتح، ويقصد بالباب العالي نفس الحكومة العثمانية. انظر: تاريخ الدولة العلية العثمانية-محمد فريد بك-١٧٧) و(معجم الدولة العثمانية-حسين مصري).

• الصدر الأعظم هو: رئيس الوزراء. ينظر: (معجم الدولة العثمانية-حسين مصري).

(٢) الثورة العربية الكبرى-أمين سعيد-١/١٨. وانظر:

١. العرب والترك-توفيق برو-٣٦٤.

٢. الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي-وجيه كوثراني-١٨٧.

المطلوبة على هذا الأصل. وكان هذا المطلب يروق لحزب الحرية واتتلاف الحزب الحاكم في ذلك الوقت .

مبادئ وتنظيم الجمعية:

بعد أن أذن الصدر الأعظم بتقديم مطالب البلاد العربية، قدمت الجمعيات الإصلاحية المطالب والتنظيمات المقترحة. ولقد كانت بيروت هي المسرح الأقوى والأبرز لهذه الحركة حيث صارت جمعيتها هي المذكورة أكثر دون غيرها في صدد ذلك. وكان قيامها في أواخر سنة ١٩١٢م وأعضاؤها خليطاً من أعيان المسلمين والنصارى^(١). فعقدت أول اجتماع لها في مقر بلدية بيروت ضمت ٨٤ شخصاً (رجال أعمال، ومحامين، وصحفيين) وفي نهاية الاجتماع تشكلت لجنة مؤقتة من ٢٥ عضواً تحددت مهمتها بلائحة المطالب الضرورية لإصلاح أوضاع الولاية ومتابعتها^(٢). وهذه المطالب تحدد البعد التنظيمي لدى الجمعيات الإصلاحية، وسنذكر أبرز هذه اللوائح:

مادة أساسية: الحكومة العثمانية حكومة دستورية نيابية .

المادة الثانية: للوالي صفتان قانونيتان: الأولى تمثل الحكومة المركزية،

وتولي جميع الأعمال المتعلقة بكيان السلطنة وشؤونها الأساسية.

(١) نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-٣٩٩.

(٢) الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي-وجيه كوثاني-١٨٨. وانظر:

١. نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-٣٩٩.

والصفة الثانية تمثل الولاية التي يرأسها، ويتولى جميع الأعمال المتعلقة بشؤون الولاية طبقاً لقرارات المجلس العمومي.

المادة الثالثة: يؤلف في الولاية مجلس عمومي من ثلاثين عضواً ينتخب نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من غير المسلمين، لمدة أربع سنوات، وهم ينتخبون منهم رئيساً لهم بالاقتراع السري.

وظائف المجلس العمومي:

١- تقرير جميع أعمال الولاية الداخلية والمذاكرة في ما يُعرض عليه من قبل الوالي أو لجنة المجلس أو عشرة من أعضائه.

٢- وضع الأنظمة الداخلية بشرط أن لا تمس شؤون السلطنة الأساسية.

٣- عقد القروض التي لا تتجاوز قيمتها نصف الواردات المختصة بالولاية.

٤- حق استيضاح الوالي، وطلب عزله ولا يتداخل المجلس العمومي في الشؤون السياسية العامة مطلقاً.

المادة الخامسة: ينتخب المجلس العمومي بالاقتراع السري لجنةً من أعضائه واحد منهم من كل لواء، واثنان من مركز الولاية لمدة سنة واحدة، فتجتمع بإدارة مستشار المجلس العمومي.

المادة السادسة: الوالي وحاكم الشرع في مركز الولاية .. تعينهم الحكومة المركزية على شرط معرفتهم اللغة العربية معرفة تامة، ويستثنى من هذا الشرط

والي الولاية لمدة خمس سنوات من تاريخ وضع مواد هذه اللائحة موضع الإجراء.

المادة السابعة: تعين الحكومة المركزية مستشارين من الأجانب على شرط معرفتهم إحدى اللغات الثلاث، اللغة العربية أو التركية أو الفرنسية. وتعين أيضاً مفتشاً أجنبياً عاماً لكل لواء من الولاية يخول حق تفتيش أية دائرة كانت في اللواء، ويكون مرجعه مستشار مركز الولاية الداخلة تلك المسألة المراجع فيها، ضمن دائرة اختصاصه .

يعين المجلس العمومي من الدول التي ترضاهها الحكومة المركزية مستشارين للدوائر الآتية: وهي مجلس الولاية العمومي والعدلية والنافعة والمعارف والبلدية والبوليس. ويلبس هؤلاء المستشارون الشعار العثماني في أوقات العمل. أما مدة الاستشارة والتفتيش فخمسة عشرة سنة ويمكن تجديدها .

المادة الحادية عشرة: لا علاقة للإدارة ولا للمجلس العمومي في الأوقاف، بل يسلم كل وقف إلى مجلس الملة المنسوب إليها لاستخدامه بموجب قانونها (بناءً عليه جميع أوقاف المسلمين في الولاية تسلم إلى مجلس ملتهم أسوة بباقي الطوائف)

المادة الثالثة عشرة: يؤلف مجلس يسمى مجلس المستشارين ويكون أعضاؤه: رئيس المجلس العمومي وجميع مستشاري الدوائر في مركز الولاية.

وظائف مجلس المستشارين:

١ — تفسير مواد النظام الذي تضعه الحكومة المركزية كدستور الحكومة الولاية ومجلسها العمومي .

٢ — تفسير القرارات والأنظمة التي يضعها المجلس العمومي .

٣ — النظر والحكم في وجوب عزل الموظف أو عدمه.

٤ — النظر والحكم بناء على طلب الوالي أو أحد المستشارين في كل خلاف في الرأي يقع بين أحد المستشارين والمجلس العمومي أو إحدى لجانه أو أية دائرة كانت، ويكون حكمه مبرماً، ويرأس هذا المجلس والي الولاية وينوب عنه في غيابه رئيسُ المجلس العمومي أو مستشار هذا المجلس .

المادة الرابعة عشرة: إن اللغة العربية تعتبر الرسمية في جميع المعاملات داخل الولاية. وتعتبر أيضاً لغة رسمية كاللغة التركية في مجلس النواب والأعيان .

المادة الخامسة عشرة: تخفض الخدمة العسكرية إلى سنتين وتُقضى الخدمة أيام السلم في الولاية^(١) .

وفي منتصف فبراير (شباط) سنة ١٩١٣م (١٣٣١/٣/٩هـ) أذاعت جمعية بيروت الإصلاحية خطتها التي تضمنت المبادئ السابقة، وحظيت بتأييد شعبي كبير في أقاليم الشام وبغداد والبصرة والقاهرة، كما أرسلت البرقيات إلى حكومة الآستانة تعتبر البرنامج تعبيراً عن الأماني في كافة الأقاليم العربية^(٢) .

وممن أيد لوائح جمعية بيروت الإصلاحية جمعية اللامركزية، فقال رشيد رضا: (إنني لأشكر لأخواني أهل بيروت هذا العمل الإصلاحي الذي أقيم على أساس الاتفاق بين مسلميهم ونصاراهم، قد بذل الأولون في استمالة الآخرين

(١) ثورة العرب - أحد أعضاء الجمعيات القومية - ٦٢-٦٧ (بتصرف).

(٢) حركة اليقظة العربية - محمود منسي - ١٦٤.

ما لم يبذله غيرهم من الناس، وهو أنهم رضوا أن تكون قلة النصارى في الولاية مساوية لكثرة المسلمين في الاشتراك بإدارة حكومتهم، فهذا برهان عملي قاطع على تساهل من يُعدّون أشد المسلمين عصية في سورية. وقد صدق ظني في أهل بيروت إذ فضّلتهم على جميع أهل بلادنا فيما كتبه عنها عند زيارتي لها بعد إعلان الدستور^(١).

القضاء على جمعية بيروت الإصلاحية:

خلال وضع وتخطيط اللوائح التنظيمية لجمعية بيروت الإصلاحية، استولت جمعية الاتحاد والترقي على حكم الدولة وأسقطت حكومة الائتلافيين^(٢). وكانت جمعية الاتحاد والترقي تختلف في المنهج الإصلاحي بالنسبة للحكم اللامركزي مع حكومة الائتلافيين، مما ترتب على ذلك أن الحكومة الجديدة رفضت^(٣) البرنامج الإصلاحي المقدم من جمعية بيروت الإصلاحية. وذكرت في الصحف:

(عما أن الجمعية التي تشكلت منذ شهرين ونصف من بعض الذوات في بيروت باسم الجمعية العمومية الإصلاحية، والتي اتفق أن أعطي لها (إيصال) من مقام الولاية، قد كان تشكيلها مغايراً لقانون الجمعيات، فضلاً عن أن بعض المطالب التي أخذ هؤلاء يطالبون بها، باسم الإصلاحيات، هي منافية أيضاً لأحكام القانون الأساسي، وبناء عليه فقد صار من الطبيعي منع دوام واجتماع

(١) المنار-رشيد رضا-المجلد ١٦-الجزء ٤-ص ٢٨٠.

(٢) انظر: العرب والترك-توفيق برو -٣٧٥.

(٣) انظر: المنار -رشيد رضا-المجلد ١٦-الجزء ٨-ص ٦٣٥.

هذه الجمعية. هذا وقد شرع بتطبيق قانون إدارة الولايات الذي نظّمته الحكومة السنّية وفقاً لقاعدة توسيع المأذونية وتفريق الوظائف فجاء جامعاً للإصلاحات لبيروت ولسائر الولايات العثمانية وعليه نعلن منع اجتماع الجمعية المذكورة^(١).

وبينت حكومة الاتحاد والترقي (أن وحدة السلطنة تنحصر في شخص جلالة السلطان، دين السلطنة الرسمي هو الإسلام، ولغتها الرسمية هي التركية، فالدين الرسمي واللغة الرسمية لا يمكن أن يكونا غير لغة الملك ودينه، ولكن هذا لا يمنعنا من التوسع في استعمال اللغة العربية في المسائل الإدارية والقضائية المرتبطة بحياة الجمهور في الولايات التي تتكلم بالعربية)^(٢).

لقد عد القوميون إلغاء جمعية بيروت الإصلاحية إلغاءً للحرية، فقد أذاع أعضاء الجمعية بياناً ذكروا فيه: إن قرار الدولة إنما هو مصادرة للحرية الاجتماعية، وحق للفكرة الإصلاحية، فضلاً عن أنه منافٍ لأحكام القانون الأساسي. وبينوا بأن الجمعية الإصلاحية في بيروت جمعية فكرية، لا جمعية إنفاذ بالقوة والضعف. فعلى فرض مخالفة رأيها في الإصلاح لرأي الحكومة، فإنما يحق للحكومة عدم العمل بآرائها، ولكن لا حق لها بمصادرتها. لذلك نحتج أمام الوطن والتاريخ على عمل حضرة الوالي، هذا الذي عبث بمصلحة الوطن. وخالف به أحكام الدستور، ونيات جلالة السلطان)^(٣).

(١) جريدة المفيد - ١٢٤٨ - بتاريخ ٩/٤/١٩١٣. (نقلا من كتاب العرب والترك - توفيق برو - ٣٨٨)

(٢) العرب والترك - توفيق برو - ٣٨٦.

(٣) جريدة المؤيد - عدد ٦٩٦٣ - بتاريخ ١٦/٤/١٩١٣ (نقلا من كتاب العرب والترك - توفيق برو -

كما أرسلت الجمعية اللامركزية من مصر برقية إلى الصدارة العظمى ذكرت فيها: (مصادرةُ والي بيروت لجمعيتها الإصلاحية في عملها القانوني استبداداً منكر، مضيع لآمال الأمة، موجب للتقاطع بين الهيئتين. تداركوا سوء العاقبة بعزل الوالي ونقض عمله، ولا تسنوا للشعب سنة سيئة بمخالفة القوانين)^(١).

ويصف القنصل البريطاني العام في التقرير الذي كتبه حال الناس عند علمهم بقرار الحكومة الاتحادية، فيقول: (أمس صدرت جميع جرائد بيروت، باستثناء جريدة واحدة، وعلى صفحتها الأولى قرار الوالي بإلغاء الجمعية وإفقال النادي، ضمن إطار أسود دلالة على الخداد، وتركت الصفحات الأخرى بيضاء، وبعد ثلاثة أيام أقفلت المخازن في بيروت احتجاجاً على القرار)^(٢).

تقويم المنهج الإصلاحي:

إن لوائح جمعية بيروت الإصلاحية تتفق^(٣) مع لوائح وتنظيمات الجمعيات الإصلاحية الأخرى. وعند المقارنة بين ما قدمته هذه الجمعيات وجمعية اللامركزية من تنظيمات قد لا يوجد اختلاف كبير بينهما سوى أن الجمعيات الإصلاحية وضعت ضمن موادها العنصر الأجنبي عن طريق مستشارين في بناء

(١) جريدة الأهرام-عدد ١٠٦٧٦-بتاريخ ١٥/٤/١٩١٣. (نقلا من كتاب العرب والترك-٣٩١)

(٢) نشوء القومية العربية-زين نور الدين زين-٩٩.

(٣) الثورة العربية الكبرى-أمين سعيد-١/١٨. وانظر: ثورة العرب- أحد أعضاء الجمعيات القومية-

الإصلاح، بل جعلت لهم صلاحيات مطلقة، فيحول لهم حق تفتيش أية دائرة كانت في اللواء .

ومن الصلاحيات المخولة للمستشارين: تفسير مواد النظام الذي تضعه الحكومة المركزية كدستور حكومة الولاية ومجلسها العمومي. وهذه الصلاحيات حددت بأن تكون مدة الاستشارة والتفتيش خمس عشرة سنة ويمكن تجديدها^(١).

إن تعيين أجناب كمستشارين ومفتشين في الولايات العربية، لم تسلم من الجدل والنقاش، فقد قال محمد جميل بيهم وهو أحد المطلعين على ما جرى في داخل الجمعية من نقاشات: كانت وجهات نظر البيروتيين مختلفة، خصوصاً لوجود فئة ذات وزن كانت حريصة على التخلص من الحكم العثماني، والسعي لاستقلاله تحت حماية فرنسا. وكان المسلمون من جهة أخرى، مع حرصهم على اللامركزية وتأمين حقوق العرب في السلطنة، يرضون بالدولة العثمانية، ولا يرضون عنها بديلاً من الدول الأجنبية. ولما كان لا بد من تقارب وجهات النظر بين طلاب الإصلاح من أنصار فرنسا وأنصار اللامركزية تَجَمَّعُ بين شروط اللامركزية وبين وجود مستشارين أجناب في جهاز حكومة الولاية بالإضافة إلى مفتش أجنبي لكل لواء^(٢).

ويؤيد الرأي القائل (بوجود فئة ذات وزن كانت حريصة على التخلص من الحكم العثماني، والسعي لاستقلاله تحت حماية فرنسا) أن جمعية بيروت

(١) عن هذه القضية انظر: نشأة الحركة العربية الحديثة - محمد عزة دروزة - ٤٠٥ .

(٢) قوافل العروبة ومواقفها خلال العصور - محمد جميل بيهم - ٢٢/٢ - بيروت - ١٩٥٠ .

الإصلاحية قد شرطت في تعيين الأجانب معرفتهم إحدى اللغات ومن ضمنها اللغة الفرنسية.

ولقد كانت مخاوف الدولة العثمانية من تأثير فرنسا على البلاد العربية، قبل ظهور جمعية بيروت الإصلاحية. فقد كتب السلطان عبد الحميد في مذكراته، أن العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا (بدأت تسير نحو الأحسن بعد تعيين سفير لجمهورية فرنسا لدينا. وقد علمت أنه اتصل عن طريق ملحقه العسكري بعدد كبير من ضباطنا. كما وُقِّع إلى اجتذاب عدد من النظار -الوزير- وبعض كبار الموظفين في الباب العالي. حتى أن شيخ الإسلام قام بزيارة إلى السفارة الفرنسية، الأمر الذي لم يكن معهوداً من قبل)^(١).

وذكر أمين سعيد في كتابه عن الثورة العربية، أن بعض العناصر المسيحية الموالية لفرنسا في بيروت أرادت استغلال الحركة الإصلاحية لخدمة هذه الحكومة، فتقربت من زعماء الحركة، وتظاهرت بالإخلاص لهم والرغبة في الخدمة الوطنية. عاملة سراً على توسيع الخرق بين الدولة والإصلاحيين^(٢).

ولا يعني هذا عدم الأخذ مطلقاً بشورى الكافرين، إنما المأخذ على تنظيم جمعية بيروت الإصلاحية لأنهم منحوا للمستشارين من الأجانب من الحقوق ما لا يطلب من مثلهم وما هو خطر عظيم على مستقبل البلاد، ولم يجعلوا لأنفسهم عليهم سلطة تبيح لهم مؤاخذتهم إذا أخطؤوا ومعاقبتهم إذا أذنبوا، على أن مؤاخذة الضعيف للقوي بالحق والقانون تكاد تكون متعذرة، فكيف إذا كان

(١) السلطان عبد الحميد الثاني -مذكراتي السياسية- ١٣١- مؤسسة الرسالة- الطبعة الثالثة- ١٤٠٢.

(٢) الثورة العربية الكبرى- أمين سعيد- ٢٤/١.

القوي صاحب سلطة مطلقة لا توجب عليه للضعيف حقاً ولا تفرض عليه مؤاخذه؟^(١).

٧. جمعية العربية الفتاة السرية:

يعتبر أعضاء الجمعيات القومية أن أكثر الجمعيات شمولاً للفكر القومي، وأشدّها تأثيراً في الحركة العربية ونهضة العرب، هي جمعية الفتاة العربية السرية. ولقوة تأثير السرية في منهج الجمعية اختلف في تاريخ نشأتها، على ثلاثة أقوال:

القول الأول: إن تاريخ نشأة جمعية الفتاة ١٩٠٨ ففي مذكرات أحمد قدري^(٢) — وهو أحد المؤسسين — (إننا بدأنا في تكوين جمعية العربية الفتاة بعد إعلان دستور سنة ١٩٠٨ بأربعة أيام لا أكثر)^(٣). وبهذا التاريخ قال مؤسس آخر وهو عوبي عبدالمهدي^(٤)، وأكد على أن تكون السرية طريقتاً في تأسيس الجمعية^(٥).

القول الثاني: إن تاريخ نشأة جمعية الفتاة ١٩٠٩ واستند هذا القول إلى وجود منشورين للجمعية بعنوان (الصرخة الأولى) و(الصرخة الثانية)، وعلى كراس يشتمل على منهجها، فوجد على الوثائق الثلاث ختماً للجمعية تاريخه

(١) المنار-رشيد رضا-المجلد ١٦-الجزء ٤-ص ٢٨٠.

(٢) انظر الترجمة رقم (٢).

(٣) ذكرياتي عن الثورة العربية الكبرى-أحمد قدري-١١.

(٤) انظر الترجمة رقم (٥١).

(٥) انظر: عوبي عبدالمهدي-أوراق خاصة-إعداد خيرية قاسمية-٩.

١٩٠٩، ووُجد على كراس المنهج أن تأسسها كان في الرابع عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٠٩. واستند هذا القول أيضاً: إلى أن توفيق الناطور، وهو أحد المؤسسين للجمعية ومن أكثرهم همة ونشاطاً، قال بهذا التاريخ^(١).

القول الثالث: يذهب أصحاب هذا القول إلى أن تاريخ نشأة الجمعية في سنة ١٩١١. ففي مذكرات عوني عبدالمهدي ما يدل على هذا، فقد قال موصياً جميل مردم بك^(٢) أثناء سفره إلى أمريكا: بأن يغتنم فرصة اجتماعه بإخواننا في المهجر ليحدثهم عن آمالنا وأمانينا في مستقبل العرب، وأن يعمل على ضم من يأنس بهم الوطنية والخلق الحسن إلى جمعية العربية الفتاة التي أنشأناها في باريس سنة ١٩١١. وكان جميل مردم بك من أعضائها البارزين^(٣). وقال بهذا القول مصطفى الشهابي ومحمد عزة دروزة^(٤) وهما من أعضاء الجمعية^(٥).

(١) نشوء القومية العربية-زين نور الدين زين-٩١.

(٢) انظر الترجمة رقم (١٨).

(٣) عوني عبدالمهدي -أوراق خاصة-إعداد خيرية قاسميه-١٧.

(٤) انظر الترجمة رقم (٦١).

(٥) انظر: ١- القومية العربية - الشهابي-٧٢.

٢- نشأة الحركة الحديثة-دروزة-٤٨٠.

٣-العرب والترك-توفيق برو-٢٦٧.

٤-يقظة العرب-جورج انطونيوس-١٨٧.

٥-خيراتي في الحكم-حسن الحكيم-٤٠.

إلا أن الشهابي قد تراجع عن رأيه في تحديد تاريخ النشأة، قال: كتبت في الجزء الثاني من كتاب الاستعمار: أن الجمعية تأسست في باريس سنة ١٩١١، وقد وهمت، لأني اطلعت في القاهرة لدى الأستاذ محب الدين الخطيب على منشورين سياسيين للجمعية بعنوان الصرخة الأولى والصرخة الثانية، وكذلك على كراس يشتمل على منهجها، فوجدت على ثلاثتها حتماً للجمعية تاريخه ١٩٠٩ وشعاره نخله. وفي المنهج المذكور أنها تأسست في الرابع عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٠٩.

وقد قال حسن الحكيم: (أنشئت بعد إعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ وقد أسسها عام ١٩١١ في باريس ثلاثة من الشبان العرب الذين أتموا دراستهم في استنبول العاصمة، وهم: أحمد قدرى، وعويى عبدالهادى، رستم حيدر^(١))^(٢). وقد يكون الاختلاف بين هذه الأقوال اختلافاً ظاهرياً، والجمع بينها هو: إن بداية فكرة وإنشاء جمعية العربية الفتاة كان في تاريخ ١٩٠٨ وكان في الآستانة، ويؤكد أنه من قال بذلك التاريخ هم من المؤسسين للجمعية، ثم انتقلت مرحلة الفكرة إلى مرحلة صياغة العمل وتنفيذ الخطط، وذلك في عام ١٩٠٩ كما في المناشير الذي فيها بيان المنهج وخطة العمل القومي، وأما تكوين هيئة إدارية للجمعية وانضمام أعضاء جدد لها وتطبيق نظام الانتساب، فإن ذلك كان في أوروبا بتاريخ ١٩١١^(٣). واستمر نشاط ومركز الجمعية في باريس وبعد أن أنهى مؤسسوها دراستهم وتخرجوا عادوا إلى بلادهم، فنقلت الجمعية إلى بيروت سنة ١٩١٣^(٤).

مبادئ وتنظيم الجمعية:

مما يلاحظ على مبادئ الجمعيات أنها دائمة التغيير والتبديل في المناهج، وهذا قد يكون من أسبابه طبيعة التعامل مع الواقع، وهذه الملاحظة ظاهرة على

(١) انظر الترجمة رقم (٢٥).

(٢) خيراتي في الحكم - حسن الحكيم - ٤٠. وانظر:

* نشأة الحركة الحديثة - دروزة - ٤٨٥.

(٣) انظر: ١- نشأة الحركة الحديثة - دروزة - ٤٨٤.

٢- جمعية العربية الفتاة السرية - سهيلة الرىماوى - ٦٧-٦٩.

(٤) يقظة العرب - جورج انطونىوس - ١٨٨.

جمعية الفتاة، فإن مبدأ الجمعية وتنظيمها أثناء التأسيس يختلف عنها في وقت إقامة الدولة العربية ومناصرة فيصل بن الحسين، وكذلك اختلف مبدؤها بعد معركة ميسلون وتفرق أعضاء الجمعيات القومية واحتلال سورية الطبيعية . ولكن هذا الاختلاف لا يمنع من معرفة مبادئ الجمعية بصفة عامة، فقد عرضت الجمعية مبادئها^(١) عن طريق منشور يعرف (بالصرحات الثلاث)، ويوجد في مكتبة محب الدين الخطيب نسخة منه.

أولاً — السرية في التنظيم: وهذا مبدأ تشترك فيه بعض الجمعيات، ولكن جمعية الفتاة أكثر سرية^(٢)، وقد نصت مبادئ الجمعية على مبدأ السرية، فقد جاء في الفصل الأول من الباب الأول، غاية الجمعية، الفقرة (٢): تبقى الجمعية سرية الآن نظراً للحالة السياسية العمومية^(٣). وعوني عبدالمهدي — أحد مؤسسي الجمعية — أكد على: أن تكون السرية طريقاً في تأسيس الجمعية^(٤).

فأصبح — من تنظيم الجمعية — التكتم فيها شديداً، والداخل فيها لا يعرف من أعضائها إلا اثنين فقط، وهما اللذان يتدبان لإدخاله وتحليفه اليمين، ولا يتم ذلك إلا بعد أن تكون الجمعية قد اختبرت المرشح لعضويتها بوسائل

(١) انظر: ١ — نشأة الحركة الحديثة-محمد عزة دروزه-٤٨٥.

٢ — القومية العربية-مصطفى الشهابي-٧٢.

(٢) انظر: نشوء القومية العربية-زين نور الدين زين-٩١.

(٣) انظر: نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزه-٤٨٩.

(٤) انظر: عوني عبدالمهدي -أوراق خاصة-اعداد خيرية قاسمية-٩.

شنت مدة من الزمن^(١). وكانت تحرص حرصاً شديداً على أن لا تضم إليها إلا من عرف بحسن الخلق والأمانة والكتمان وقوة النفس والجرأة، ومما يجدر ذكره عن مبدأ الكتمان والسرية لدى أعضاء جمعية الفتاة، أن أسماء الجمعيات السرية الأخرى وأسماء كثير من أعضائها قد انكشفت في سياق تحقيقات الديوان الحربي في عالية الذي أنشأه جمال باشا في أثناء الحرب، ولم يمكن كشف اسم الفتاة بالرغم من شدة المحاولات والارهاقات^(٢).

ومما يذكره أعضاء الجمعيات القومية العربية عن محاولة إخفاء نظام وأسرار الجمعية، أن شكري القوتلي كاتم سر الجمعية، لما تم القبض عليه من قبل جمعية الاتحاد والترقي وخشي أن يبدر منه حال الإغماء ما يقضي عليه وعلى إخوانه في الجمعية، فأعد قلماً وقرطاساً وتمدد على سريره الخشبي وقطع شريان يده اليسرى.. ورأى حارس السجن دماً تحت الباب، فأسرع إلى إخبار رئيسه، وكان الطبيب المناوب في تلك الساعة الدكتور أحمد قدرى — أحد مؤسسي الجمعية — فحمل القوتلي إلى حيث عولج^(٣).

وأثناء انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس المنعقد عام ١٩١٣ اتخذت جمعية الفتاة في رسائلها شفرة معينة، وهي:

بزغ فجر وطنك

(١) القومية العربية-مصطفى الشهابي-٧٣.

(٢) حول الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزه-٣٢/١.

(٣) الإعلام-خير الدين الزركلي-١٧٣/٣.

مت	لعضد	شخصي
أحي	ثقة	ظسذ.

فالباء تقابل العدد الواحد وهكذا .. كيفية الكتابة .. (عبد) تكتب على الصورة التالية: ١٤،١٦،١٤. رقم ١٤ مقابل حرف (ع)، رقم ١ مقابل حرف (ب)، رقم ١٦ مقابل حرف (د).

وكتابة اسم (رفيق): ٢٤،٢٢،٤،٦. رقم ٦ مقابل حرف (ر)، رقم ٤ مقابل حرف (ف)، رقم ٢٢ مقابل حرف (ي)، رقم ٢٤ مقابل حرف (ق)^(١).

ومن منطلق السرية والكتمان يقول محب الدين الخطيب: (لم يكن للجمعية مقر معلوم لأنها جمعية سرية، بل كنا نعقد الاجتماع في بيوت أحد الأعضاء ولا يعلن عنه إلا قبل مدة وجيزة)^(٢).

ثانياً — المبدأ الأساسي للجمعية مبدأ (القومية العربية) ويبدو هذا من الحقائق التالية:

أ — اسم الجمعية وهو: العربية الفتاة، وكان مؤسسوها قد سموها في بادئ الأمر (جمعية الناطقين بالضاد)^(٣).

(١) انظر : جمعية الولعربية الفتاة السرية-سهيلة الرماوي .

(٢) سيرة جيل- محب الدين الخطيب- (مخطوط) مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية.

(٣) نشوء القومية العربية-زين نور الدين زين-٩١.

ب - عضويتها مقصورة على العرب فقط، ومفتوحة أمام كل عربي منهم مهما كانت الاية التي ينتسب إليها من الدولة العثمانية، وقد نص نظام الجمعية على ذلك، ففي الفصل الثاني من الباب الأول: شروط الدخول في الجمعية، فقرة (أ) أن يكون عربياً مخلصاً لأتمته^(١).

ج - التأكيد على أن واجب الجمعية الأول - كما نص على ذلك نظام الجمعية في الفصل الثالث من الباب الأول في وظائف الجمعية وتشكيلاتها، فقرة (١٣) هو تقوية الشعور العربي بين طبقات الأمة العربية كافة، ومبدؤها في ذلك عربي قبل كل شيء وفي كل شيء^(٢).

والحرص على مبدأ القومية في دستور الجمعية، وسنّ الأنظمة على إقراره يعطي التأكيد على أن الجمعيات القومية اهتمت بالجانب القومي العربي على حساب المعتقد الديني^(٣)، وأن أصل الولاء والبراء هو اللغة وليس الدين. ولأهمية هذه القضية خصص لها باب مستقل لمناقشتها .

ثالثاً - الهدف من إنشاء الجمعية - على حسب ما ذكر في الوثيقة الأولى من دستور الجمعية - هو: (أن الأمة العربية في مؤخرة الأمم اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، فوجب على قادة نابتتها المدركين أن يبدلوا حياتهم فيما

(١) انظر: نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-٤٨٩.

(٢) انظر: المصدر السابق-٤٩١.

(٣) انظر مثلاً على ذلك: مجموعة آثار رفيع بك العظم-الجامعة العثمانية-١٣٥٠. - مطبعة المنار-

مصر- الطبعة الأولى-١٣٤٤.

ينهض بها من هذا التأخر ويتدبروا فيما يؤول إلى ترقيقها لتدرك معنى الحياة وتحفظ بحقوقها الطبيعية .. وغاية الجمعية النهوض بالأمة العربية إلى مصاف الأمم الحية^(١).

وهذا الهدف قد تطور على حسب ما مرت به الجمعية من مراحل، وقد قال أحمد قدرى: (وقد تماشينا ذكر اسم الاستقلال في مضامين برنامج جمعيتنا، وإن كنا في السر نسعى ونعمل وراءه)^(٢).

وقد أصبحت الغاية من تأسيس الجمعية — بعد الحرب العالمية الأولى — كما جاء في منشور الجمعية الجديد في الفصل الأول من الباب الأول: (غاية الجمعية استقلال البلاد العربية استقلالاً تاماً^(٣) بجميع معانيه الحقوقية والسياسية وتأييد ذلك الاستقلال بجعل الأمة العربية في مصاف الأمم الحية)^(٤).

رابعاً — قسم الاشتراك في جمعية الفتاة العربية: يشترط في الانضمام لجمعية الفتاة أن يؤدي العضو الجديد قَسَمَ الجمعية، فقد جاء من شروط الدخول في الجمعية فقرة (د): أن يقسم يمين الإخلاص^(٥). وهذا القَسَمُ في تنظيمات جمعية الفتاة يأتي تحقيقاً لمبدأ السرية، ونصُّ القَسَمِ هو: (أقسم بالله،

(١) انظر: نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزه-٤٨٥.

(٢) مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى-أحمد قدرى-١٢-١٩٥٦.

(٣) انظر: حركة اليقظة العربية-محمود منسي-١٦١. وانظر: كتاب جمعية العربية الفتاة-سهيلة الريمائي-٨٢.

(٤) نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزه-٤٨٩.

(٥) المصدر السابق-٤٨٩.

وبشرني أنني أسعى في تأييد غاية [الجمعية] وهي الاستقلال العربي التام، والسعي في جعل الأمة العربية في مصاف الأمم الحية .

أقسم بالله وبشرني أنني أحافظ على أسرار [الجمعية] وأفضل مصلحتها ومصالحة إخواني فيها على كل مصلحة سواها.

أقسم بالله وبشرني أنني أطيع قانون [الجمعية] وأوامرها، والله على ما أقول شهيد^(١).

ومما يجدر التنبيه إليه في ألفاظ قسم الجمعية أنها تحتوي على ألفاظ شركية، منها: القسم بغير الله تعالى، وقد قال ابن عمر رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: (لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ)^(٢).

والمخالفة الشرعية الأخرى في قسم الجمعية: الطاعة المطلقة لقانون الجمعية وأوامرها، وترتيب عقوبة مقدرة لمخالف أوامرها. وهذه الطاعة لا تكون إلا لله تعالى ولرسوله ﷺ: قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣).

قال ابن كثير رحمه الله: (أطيعوا الله) أي: اتبعوا كتابه (وأطيعوا الرسول) أي: خذوا بسنته، (وأولي الأمر منكم) أي: فيما أمروكم به من طاعة الله لا في

(١) جمعية العربية الفتاة السرية-سهيلة الريمائي-ملحق رقم (٢) ص ٢٩٨.

(٢) صحيح البخاري-كتاب التوحيد-باب السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِسْتِعَاذَةَ بِهَا-رقم الحديث (٦٨٥٢).

(٣) سورة النساء: رقم الآية (٥٩).

معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله^(١). ولأهمية المخالفات العقائدية عند الجمعيات القومية خصص لها باب مستقل لمناقشتها وبيان مواقفها .

خامساً— إن مؤسسي جمعية الفتاة هم من الشباب العرب الذين كانوا يواصلون دراستهم في باريس^(٢) وهم: عبدالغني العريسي^(٣) متخرج في مدرسة الصحافة وكلية علوم السياسة الدولية، وعوني عبدالهادي من طلاب كلية الحقوق في باريس، ومحمد الحمصاني^(٤) متخرج في كلية الحقوق في فرنسا وجميل مردم بك طالب حقوق في فرنسا^(٥).

ويحدث عوني عبدالهادي — وهو أحد المؤسسين للجمعية — عن الوضع المريب الذي اتخذته فرنسا أثناء إعلان الحرب ضد مواطني الدولة العثمانية، فيقول: لبنا نتظر مصيرنا الذي لن يكون أقل من أن نرج مع أمثالنا التابعين للبلاد المعادية للحلفاء بالمعتقلات. ولكن لم يمض كثير وقت حتى وافانا الخبر العجيب غير المنتظر، بأن الحكومة الفرنسية قررت زج الأتراك بالمعتقلات والسماح للسوريين في الإقامة أحراراً في باريس^(٦).

(١) تفسير القرآن العظيم-ابن كثير -٣٠٤/٢- مطبعة الشعب.

(٢) الحكومة العربية في دمشق-خيرية قاسميه-١٩.

(٣) انظر الترجمة رقم (٤٣).

(٤) انظر الترجمة رقم (٥٩).

(٥) المؤتمر العربي الأول في باريس - ١٤-١٦.

(٦) عوني عبدالهادي-أوراق خاصة- إعداد خيرية قاسميه-١٤.

لقد احتوت الحكومة الفرنسية هذه النخبة من الدارسين في محافلها العلمية، ولذا كان من أبرز القضايا القومية في الفكر القومي، أن تبني مؤسسو جمعية الفتاة فكرة انعقاد مؤتمر عربي يضم أعضاء الجمعيات القومية، — كما أكدت ذلك الوثائق^(١) — وقد سعت الجمعية ببث الدعاية للمؤتمر في باريس، وفرضت سمة السرية لجمعية العربية الفتاة أن يتصل أعضاؤها بالشخصيات العربية المعروفة في باريس، حتى تبدو عملية الدعوة للمؤتمر وكأنها صادرة عن الجالية العربية فيها^(٢).

سادساً — من أبرز ما ظهرت به جمعية الفتاة العربية في نشأة الفكر القومي، أن أول دولة عربية ظهرت في كيان مستقل كان أهم مراكزها بيد أعضاء الجمعية وفي مقدمتهم فيصل نائب الملك^(٣)، الذي حدد منهج هذه الدولة في البيان الذي أعلنه عند قيام الدولة بتاريخ ٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٩ (١٣٣٧هـ) :

تشكلت في سوريا حكومة دستورية عربية مستقلة استقلالاً مطلقاً.

عهدت إلى السيد علي رضا باشا الركابي^(٤) بالقيادة العامة للحكومة المذكورة نظراً لثقتي باقتداره ولياقته.

(١) بين يدي دراسة وافية عن قرارات المؤتمر العربي، صادر من اللجنة العليا لحزب اللامركزية الذي تبني تنفيذ المؤتمر وقد حصلت على هذه الدراسة من مكتبة (خير الدين الزركلي) وهو من أعضاء الفتاة العربية.

(٢) جمعية العربية الفتاة السرية-سهيلة الرймаوي-١٥٦.

(٣) انظر: يقظة العرب-جورج انطونيوس-٢٣٧. أصبح فيصل عضواً فيها بعد أن حلف اليمين.

(٤) انظر الترجمة رقم (٤٩).

ليعلم جميع الناس أن حكومتنا قد تأسست على قاعدة العدالة والمساواة، فهي تنظر إلى جميع الناطقين بالضاد على اختلاف مذاهبهم وأديانهم نظراً واحداً. لا تفرق في الحقوق بين المسلم والمسيحي والموسوي^(١).

فكان من أركان هذه الدولة علي رضا الركابي رئيس الحكومة، وياسين الهاشمي المستشار العسكري، ومحمد علي التميمي قائد الشرطة ... وكانت هذه اللجنة تسيطر على الحكومة سيطرة فعلية، وكانت منها بمرتلة جمعية الاتحاد والترقي من الحكومة التركية، فما كان يتم شيء إلا بأمرها وإرادتها^(٢).

أصبحت الهيئة الإدارية للجمعية تُنتخب انتخاباً، وتطرح في الاجتماعات الثقة بها، بحيث تسقط إذا لم تنل ثقة الأكثرية ويتجدد انتخابها بينما بقي منشؤو الفتاة يعدون أنفسهم هيئة إدارية بصورة طبيعية، وأما رئاسة الجمعية فقد احتفظت بطابعها القديم، وهو انتخاب رئيس لكل جلسة تعقدتها اللجنة الإدارية^(٣). ومما يلاحظ في الانتساب إلى الجمعيات القومية العربية أنه قد يوجد أحد الأعضاء منتسباً إلى عدد من الجمعيات القومية، ولهذا ترد أسماء بعض

(١) مؤامرة الغرب على العرب-ياسين سويد-المركز العربي للأبحاث والتوثيق-بيروت-الطبعة الأولى-١٩٩٢، والمراد بالموسوي: اليهودي.

(٢) الثورة العربية الكبرى-أمين سعيد-٣٥/٢.

(٣) جمعية العربية الفتاة السرية-سهيلة الرماوي-٨٥-٨٨. بتصرف. وانظر:

١. خبراتي في الحكم-حسن الحكيم-٤١.

٢. الحكومة العربية في دمشق-خيرية قاسميه-٦٦.

أعضاء جمعية الفتاة ، وهم أيضاً من منسوبي جمعية العهد أو اللامركزية .. الخ من الجمعيات السرية والعلنية^(١).

سابعاً- المركزية في أنظمة وقرارات الجمعية: سنت الجمعية في نظامها الحكم المركزي، وهذا ظاهر في لوائح قانون الجمعية والتي منها:

في مقدمة النظام، وتحت موضوع (متفرقات) جاء في البند ٢٣:- يعمل بهذا النظام، ولا يجوز قبول اقتراح الزيادة عليه أو الحذف منه أو التعديل فيه، إلا باتفاق ثلثي مجموع أعضاء اللجنة العليا^(٢).

وفي المادة الثالثة من المواد الأساسية: (على كل عضو أن يأتمر بقرارات اللجنة العليا ولو كانت عليه وخلافاً لإرادته)^(٣).

وقد تم حصر إصدار قرارات الجمعية باللجنة العليا، وهي تمثل السلطة القيادية المركزية للجمعية: (اللجنة العليا تتألف من سبعة أعضاء، هم مصدر أعمال الجمعية وإليهم يرجع القول الفصل..)^(٤).

فهذه السلطة تكاد تكون موجودة في جميع مواد نظام الجمعية:

(المادة ٦): مجلس الشورى تنتخبه اللجنة العليا، وتعيين عدده راجع إليها.

(١) انظر: العرب والترك - توفيق برو- ٢٦٩.

(٢) نشأة الحركة العربية الحديثة- محمد عزة دروزة- ٤٨٨.

(٣) المصدر السابق نفسه- ٤٨٦.

(٤) المصدر نفسه- ٤٨٦.

(المادة ١٦): للجنة العليا الخيار في استشارة مجلس الشورى ببعض الأمور الخطيرة.

(المادة ١٧): إذا رشح أحد الأعضاء شخصاً ليكون عضواً تقرر اللجنة العليا قبوله بثشي آراء أعضائها .

(المادة ٢٣): من أتى عملاً يخالف قانون الجمعية أو مبدأها فأمره راجع إلى اللجنة العليا^(١) .

نهاية مسمى جمعية الفتاة العربية:

من أبرز أسباب نهاية مسمى جمعية الفتاة العربية، سببان اثنان، هما:

السبب الأول: من منطلق التطور والتنظيم الذي اتخذته الجمعية، فقد نصت المادة (١٧) من الفصل الرابع في أعمال الهيئة المركزية العامة على أن: (يكون للجمعية حزب سياسي علني واسع، تُدار بواسطته حركة الانتخابات العمومية وتُطبَّق سياستها)^(٢).

وتم اتخاذ حزب علني للجمعية من أجل محاولة التوفيق بين سرية الجمعية والتطورات الحديثة التي مرت بها، و أهم تلك التطورات القيام بمهام الحكومة العربية الأولى. ومن أجل أن يتسع الحزب في الوقت نفسه لضم أشخاص لا

(١) المصدر نفسه-٤٨٦-٤٨٨. وانظر: جمعية الفتاة العربية السرية-سهيلة الريموي-٧٣.

(٢) انظر: ١-نشأة الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-٤٩١.

٢-القومية العربية-مصطفى الشهابي-٧٨. ٣-ستون عاماً في القافلة العربية-عجاج نويهض-

يحسن أن يكونوا في نطاق التشكيلة السرية، ولكن يحسن أن يُستفاد منهم ويُتعاون معهم، ويدخلون في دائرة توجيهاتها.

فأنشأت الجمعية في أوائل عام ١٩٢٠ (١٣٣٨هـ) حزباً رسمياً باسم (حزب الاستقلال العربي) ببرنامج قومي يستهدف الوحدة العربية والاستقلال التام الشامل... وأوجبت على جميع أعضائها القديمين والجديدين الانتساب إليه، وفتحت باب الدخول فيه بمقياس واسع^(١).

وقد وضع نظام للحزب في الانتساب إليه وإدارته، فكانت أول لجنة إدارية تتولى أعمال الحزب مؤلفة من: سعيد حيدر، أسعد داغر، محمد عزة دروزة، زكي التميمي، فوزي البكري، عبدالقادر العظم^(٢)،^(٣). ومن لوائح ونظام الحزب:

١- إن غاية الحزب المسمى بحزب الاستقلال العربي المؤسس في دمشق سنة ١٩١٩ هي تأمين استقلال البلاد العربية المحررة استقلالاً سياسياً تاماً من جميع وجهاته.

٢- مركز الحزب مدينة دمشق، ولحزب الاستقلال فروع في أمهات المدن العربية بقدر ما تسمح به الظروف الحاضرة والمستقبلية.

(١) حول الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-٨٧/١

(٢) انظر الترجمة رقم (٤٤).

(٣) خيراتي في الحكم-حسن الحكيم-٤٦.

- ٣- يتألف الحزب من أعضاء عاملين وأعضاء فخرين. ليس للحزب رئيس، إدارته معلقة بقرارات اللجنة المركزية المؤلفة من خمسة عشر عضواً.
- ٤- صلاحية اللجنة المركزية القيام بما يلزم من المساعي لتأمين غاية الحزب مع تدقيق حساباته وتفرعاتها^(١).

لقد أصبح هذا الحزب العمود الفقري للحياة الحزبية في سورية والمسيطر على البلاد بحيث لا يقرر عمل ولا تؤلف وزارة ولا توضع خطة إلا بالاتفاق معه^(٢).

وبهذه الطريقة أصبح حزب الاستقلال الممثل العلني والرسمي لجمعية الفتاة العربية، حتى اختلط الأمر على الناس فلم يعودوا يفرقون بين الجمعية والحزب^(٣). فكانت نهاية مسمى (جمعية الفتاة العربية السرية).

السبب الثاني: وسبب آخر أدى إلى نهاية مسمى جمعية الفتاة العربية، هو إعدام أبرز مؤسسي جمعية الفتاة السرية على مجموعتين، المجموعة الأولى كانت بنهاية شهر آب سنة ١٩١٥ (١٣٣٣هـ) والمجموعة الثانية بتاريخ ٦ آيار سنة ١٩١٦م (١٣٣٤هـ)^(٤) وذلك لإدانتهم بأعمال تخل بأمن الدولة، كالمطالبة

(١) الرعيل العربي الأول-خيرية قاسميه-١٧١-رياض الريس للكتب والنشر.

(٢) خيراتي في الحكم-حسن الحكيم-٤٦.

(٣) حول الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-١/٨٨. انظر: ١-ستون عاماً مع القافلة العربية-عجاج نويهض-١٦٧. ٢-جمعية الفتاة العربية السرية-سهيلة الرماوي-٩٨.

(٤) جمعية الفتاة العربية السرية-سهيلة الرماوي-٢٦١ وانظر: مذكرات جمال باشا-٢٣٤.

باستقلال البلاد العربية، ومناصرة وتأييد حزب اللامركزية، والدعوة للاحتلال الفرنسي .. وذلك بموجب اعترافات بعضهم، والحصول على وثائق ومكاتبات في القنصلية الفرنسية في دمشق تدينهم^(١).

وقد ذكر جمال باشا أثناء التحقيقات في المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العرفي بأن: (توفيق أفندي الناطور وعوني عبدالهادي، ومحمد أفندي المحمصاني، وغيرهم قد أسسوا جمعية خفية دخل فيها عبدالغني العريسي. وكانوا يقبلون شبان العرب بعد التحليف -أي القسم- وكان الأعضاء مأذونين بقيد الشبان الذين يمكنهم أن يقوموا بمطالب الجمعية لا في أوروبا فقط بل في دار الخلافة وسورية أيضاً).

وقال توفيق الناطور: (إننا قد شكّلنا جمعية خفية في باريس ومؤسسها أنا ومحمد المحمصاني وعوني عبدالهادي وتوفيق فائد وعبدالغني العريسي، وكل أمة لا تنال حقوقها واستقلالها إلا بالمنورين من شبانها).

(١) عن هذه القضية ينظر:

- ١ - مذكرات جمال باشا-٢١٢ .
- ٢ - حول الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-١/٥٠ .
- ٣ - جمعية الفتاة العربية السرية-سهيلة الريمراوي-٢٥٦ .
- ٤ - عشت وشاهدت-أنيس النصولي-دار الكتاب-بيروت-الطبعة الأولى-١٩٥١ .
- ٥ - الثورة العربية الكبرى-أمين سعيد-١/٥٨ وما بعدها .
- ٦ - القومية العربية-مصطفى الشهابي-٧٦ .

ولما سئل سيف الدين الخطيب^(١) عن مقصد هذه الجمعية قال هي: جمعية الأمة العربية في مصاف الأمم^(٢).

وبهذا كانت نهاية مسمى (جمعية الفتاة العربية) ويقول محمد عزة دروزة — وهو أحد أعضائها —: (إن كثيرا من — أعضائها — القديمين والحديثين الذين تبعثروا في الأردن وفلسطين ومصر والعراق والشام لم يعرفوا عن نشاطها شيئا. ولم تقم للفتاة قائمة كيان رسمي بعد ذلك، وكل ما كان من أمر أن بعض أعضاء الفتاة وحزب الاستقلال كانوا يتعاونون^(٣) أحيانا وفي بعض المجالات الوطنية والمحلية^(٤)).

٨. حزب البعث العربي:

في عام ١٩١٦ (١٣٣٤هـ) تم تنفيذ بنود مؤامرة المندوبين (سايكس وبيكو) القاضية بتحديد الأجزاء التي ترغب كل من بريطانية وفرنسة في أخذها من الإمبراطورية العثمانية، ثم أوعز إليهما أن يتوجها إلى الحكومة الروسية لبيحثا

(١) انظر الترجمة رقم (٣٣).

(٢) الإيضاحات-جمال باشا-٤٩.

(٣) من أعضاء جمعية الفتاة غير ما ذكر: شكري القوتلي، رفيق سلوم، يوسف ياسين، كامل القصاب، مصطفى الشهابي، خير الدين الزركلي، محب الدين الخطيب، خالد بن ياسين الحكيم، معين الماضي. وأكثر أعضاء جمعية الفتاة هم من جمعية العهد.

انظر: -القومية العربية- مصطفى الشهابي ٧٥. -حول الحركة العربية الحديثة- دروزة-٨٦/١. -مجلة العربي- العدد ١٥١-يونيو ١٩٧١ ص٥٢-مقال/جمعية العربية الفتاة- سليمان موسى. -جمعية العربية الفتاة السرية- سهيلة الريماني-٣٠٣-٣٠٧-الإعلام-الزركلي.

(٤) حول الحركة العربية الحديثة-محمد عزة دروزة-٩٢/١.

مقترحاتهما مع الحكومة الروسية، وحددت المقاطعات العثمانية التي ترغب كل واحدة من تلك الدول الثلاث في أن تعترف لها زميلتها منطقة لنفوذها^(١).

وفي عام ١٩٢٠ (١٣٣٨هـ) تم تنفيذ المؤامرة والقضاء على حلم الجمعيات القومية العربية، وذلك بسقوط الدولة العربية الأولى^(٢) في سوريا بواقعة ميسلون^(٣).

وكانت البلاد العربية — منشأ الجمعيات القومية — بمقتضى هذه المؤامرة قد وُزعت على فرنسا وبريطانيا، فكان نصيب فرنسا القسم الأعظم من سورية ومنطقة الموصل في العراق. وأما بريطانيا فكانت حصتها تتألف من شريط يمتد من أقصى جنوب سورية عبر العراق ويشمل بغداد والبصرة وكل المنطقة الواقعة بين خليج العرب والمنطقة المخصصة لفرنسة^(٤).

(١) انظر نص الاتفاقية : مؤامرة الغرب على العرب-ياسين سويد-٣٨٤-المركز العربي للأبحاث والتوثيق-بيروت-الطبعة الأولى ١٩٩٢.

(٢) انظر الحكومة العربية الأولى في دمشق- خيرية قاسميه.

(٣) ميسلون نهاية عهد-صبحي العمري-١٦٥-دار الريس للكتب والنشر-لندن-قبرص-الطبعة الأولى-١٩٩١. والمؤلف ضابط عربي خاض تلك المعركة وكتب دراسته عنها. وميسلون هضبة تقع شمال غربي دمشق، على الطريق المؤدية منها إلى بيروت، وبالقرب من الحدود اللبنانية السورية، جرت عندها الموقعة المسماة باسمها بين قوات الأمير فيصل بن الحسين بقيادة يوسف العظمة-وزير الحربية في الحكومة العربية السورية- وبين الجيش الفرنسي بقيادة غوييه-قائد فرقة المشاة الثالثة- وذلك في يوم ٢٤ يوليو ١٩٢٠. وأهمية هذه المعركة أنها أنهت استقلال أول دولة وحدوية عربية قامت في بلاد الشام بعد انهيار الحكم العثماني فيها.. ثم أخضعت هذه البلاد لانتداب استمر أكثر من ربع قرن. وتعتبر ميسلون بوابة العبور إلى سوريا الداخلية من الغرب وينظر:

مؤامرة الغرب على العرب-ياسين سويد-٥٣

يوم ميسلون-ساطع الحصري.

معركة ميسلون-إحسان الهندي-مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي-١٩٦٧.

(٤) بقطعة العرب- جورج انطونيوس-٣٤٩-٣٥٠(بتصرف)

لقد وقعت البلاد العربية — المنصوص عليها بالاتفاقية — تحت حكم الاستعمار الصليبي؛ وقد قصد المستعمر عدة أهداف ينبغي التنبيه عليها قبل الحديث عن تاريخ نشأة حزب البعث، وهي:

١ — أن ينشغل كل جزء من أجزاء الوطن الكبير في حل قضيته بنفسه، وأن ينسى مع الزمن الهدف الكبير الذي بدأ به.

فالسوري الذي يقطن دمشق مثلاً كان في البداية يعمل لإنشاء إمبراطورية عربية كبيرة .. ثم انحسر تفكيره إلى المحافظة على سوريا الطبيعية .. ثم انحسر كذلك إلى قطعة أصغر بعد أن تقسمت سوريا إلى فلسطين وشرق الأردن ولبنان وسوريا.

٢ — أن تطمئن دولة الاستعمار على نمو الروح الإقليمية مقابل الروح الإسلامية التي تعتبرها الخطر الأول الذي يهدد مصالحها .

٣ — إحياء الشعوبية والطائفية .. فدولة صغيرة مثل سوريا قسمتها إلى أربع دول: دولة درزية، ودولة نصيرية، ودولة دمشق، ودولة حلب .. وكل ذلك له تأثير شعوبي وطائفي على مستقبل البلد.

٤ — محاربة أي نوع من أنواع الوحدة بين الأقطار العربية .. وإذا كان الاستعمار قد تسامح مع نمو الأحزاب القومية أو الوحدوية .. غير أنه كان يدرك طبيعة هذه الأحزاب الإقليمية والشعوبية^(١).

(١) القومية بين النظرية والتطبيق - مصطفى الطحان - ١٥٨ - دار الوثائق - الكويت - الطبعة الأولى - ١٤٠٩ هـ.

نشأة حزب البعث العربي:

إن الجمعيات القومية العربية والسابق التعريف بها تختلف مع حزب البعث في مسألة التأسيس اختلافاً جوهرياً، إذ أن الجمعيات القومية سألقة الذكر نشأت تحت مظلة الحكم العثماني، وأما حزب البعث فقد يكون المثال الصحيح للحزب القومي العربي إذ كان منشأ الحزب في بلاد عربية، بل تمكن من استلام السلطة في بعض البلاد العربية^(١). ولذا يؤكد أعضاء حزب البعث على ولائهم لثورة الشريف حسين وأنهم امتداد للثورة العربية^(٢)، ولهذا يرون أن ثورة الشريف حسين تعد من أهم أسباب نشأة حزب البعث الذي جاء نتيجة لمخاض فكري ولمعاناة نضالية ساهمت في بلورتها منابع رئيسية أربعة:

- ١- التراث القومي والبعث التاريخي للتحربة النضالية للأمة العربية وخاصة تجربة الإسلام التي جسدت في ماضي العرب أعماق تجربة روحية وثورة فكرية واجتماعية وسياسية .
- ٢ - الثورات المعاصرة التي بدأت بتجربة الإصلاح الديني في أوروبا وبلغت ذروتها في ثورة ١٩١٧ (١٣٣٥هـ) الاشتراكية التي ساهمت في طرح قضايا الشعوب والأمم المجزأة المضطهدة والجماهير المسحوقة .

(١) انظر: ١ - القومية بين النظرية والتطبيق - مصطفى محمد طحان - ١٩٤ - ٢٢٧ .

٢ - حزب البعث العربي - جلال السيد - ٢٢ - دار النهار - بيروت - ١٩٧٣ .

(٢) انظر: سياسي يتذكر - ٥١ .

٣ — العالم الجديد الذي نشأ خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، وعلى أنقاضهما وما طرحته التبدلات التي شملت مختلف جوانب الحياة من قضايا مصيرية، تمس مستقبل الإنسانية ومصير الشعب العربي.

٤ — التجربة النضالية المعاصرة للأمة العربية التي جسدت اليقظة القومية عبر الصراع مع السيطرة العثمانية والاستعمار الغربي^(١).

ومن خلال هذه المحاور الأربعة نشأ حزب البعث الذي يعد من أهم الأحزاب السياسية التي تبنت القومية العربية، والذي تولى تأسيسه وقيادته ميشيل عفلق وصلاح البيطار^(٢) وكلاهما أنهما دراستهما الجامعية في باريس، الأول حصل على إجازة في التاريخ والثاني على إجازة في العلوم، وهناك نما بالفعل تكوينهما الفكري ووعيهما السياسي^(٣)، وقد اطلعوا على مزيج من التيارات اليسارية التي نشطت في باريس، وتأثرا ببقايا الفكر القومي في أوروبا، وكتابات الثورة الفرنسية^(٤).

ويقرر مؤسسو حزب البعث بأنه امتداداً لمبادئ وعقائد الجمعيات سابقة الذكر، فيقول أحد المؤسسين لحزب البعث: لم يكن مفاجأة للعرب من حيث المبادئ ومن حيث الفلسفة القومية والسلوك. ولكن هناك منظمات وأحزاب

(١) تطور الأيدلوجية العربية الثورية-إلياس فرح-٣٥-المؤسسة العربية للدراسات والنشر- الطبعة السابعة ١٩٧٩.

(٢) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-١٩/١-الطبعة الأولى ١٩٧٩.

(٣) المصدر السابق-١٩/١.

(٤) سياسي يتذكر-٥١.

وجمعيات سبقته فجاء هو يحاول استدراك ما فات تلك المنظمات والأحزاب والجمعيات^(١).

وقد يتفق كل من كتب عن حزب البعث أن تاريخ تأسيسه كان في عام ١٩٤٣ (١٣٦٢هـ) ثم أعلن عنه رسمياً في دمشق ٧ نيسان عام ١٩٤٧ (١٩٦٦هـ)، وبين فترة التأسيس والإعلان فقد أصدرت نشرة هامة تحمل توقيع عفلق والبيطار، وتحمل التنظير الفكري للحزب وهي بعنوان (القومية العربية وموقفها من الشيوعية) .. ومما جاء فيها: (إننا عدنا إلى الوطن نحمل فكرة الاشتراكية كتعبير عن الغايتين اللتين وقفنا أنفسنا على تحقيقهما : مكافحة الاستعمار الأجنبي، ومكافحة الرجعية الداخلية بكل أشكالها، وقد فهمنا عن طريق تلك الفكرة أن النضال ضد المستعمر لن يكون صادقاً شاملاً مجدياً إلا إذا كان نضالاً شعبياً .. وفهمنا أيضاً أن هذا النضال مرتبط أوثق الارتباط بحالة الأمة الفكرية والأخلاقية، وأنه لا بد لِنُجوع النضال ضد المستعمر من هيئة انقلاب فكري يغير المفاهيم القديمة العقيمة، ويهز النفوس إلى الأعماق .. ويخلق لها نظرة أخلاقية جديدة جدية^(٢)).

(١) حزب البعث العربي - جلال السيد - ٢١ - دار النهار - بيروت - ١٩٧٣.

(٢) حزب البعث العربي الاشتراكي - مصطفى دندشلي - ١/٢٧.

وانظر: ١ - حزب البعث العربي - جلال السيد - ٢٨.

٢ - حزب البعث - سامي الجندي - ١٩.

٣ - الحركات القومية في ميزان الإسلام - منير محمد نجيب - ٣٣.

الدعوة لحزب البعث العربي:

من مبادئ حزب البعث العربي الإيمان بالنضال الشعبي لبعث القوميّة العربيّة^(١)، ومن هذا المنطلق فقد بدأ عفلق والبيطار منذ عام ١٩٤٣ الدعوة إلى أفكار ومعتقدات الحزب، وقد ساهم في تسهيل دعوتهما أن في تلك الفترة:

١ - الأوضاع السياسيّة في البلاد العربيّة: فقد كان الحلفاء الإنكليز والفرنسيون يحتلون سوريا ولبنان، وكانت جيوشهم معسكرة في مختلف أنحاء المشرق .. في هذه الظروف تكونت (الحلقة) السياسيّة الجديدة التي كان من أبرز وجوهها ميشيل عفلق وصلاح البيطار، وأطلقت على نفسها أسم (شباب البعث العربي)، في هذه السنة - ١٩٤٣ - تقدّمت هذه المجموعة من السلطة للحصول على ترخيص بإصدار صحيفة خاصّة بها ولكنها لم توفق في ذلك واقتصرت النشاطات الرئيسيّة للحركة في ذلك الوقت على الدعوة للفكرة العربيّة من خلال تنظيم الاجتماعات الصغيرة العدد، وإصدار البيانات المعادية للاحتلال الفرنسي والمطالبة بالاستقلال الكامل لسوريا، بين الفينة والأخرى^(٢).

٢ - لم تكن العضوية في حزب البعث صعبة المنال، ذلك لأن طبيعة الحزب كانت أقرب إلى كونها حركة تبشيرية من كونها عقيدة متكاملة الجوانب، أو برنامجاً محدداً، ولم يكن العمل سرياً بالمعنى المتعارف عليه في الحركات الثوريّة، كما مر ذكره من برامج وتنظيمات الجمعيات القوميّة العربيّة سالفة الذكر.

(١) الأحزاب السياسيّة في الأردن - هانيء الحوراني وآخرون - ٨٧.

(٢) حزب البعث العربي الاشتراكي - مصطفى دندشلي - ٣٤.

٣ — معظم قيادات الحزب ومقرراته لم تكن سرّاً، سواء في سوريا أم لبنان أم الأردن أم العراق، ولقد ساعد ذلك طبيعة الحياة السياسية في تلك البلدان، وطبيعة أنظمة الحكم^(١).

٤ — ومن أبرز الظروف التي ساعدت على نشر مبادئ حزب البعث أن ميشيل عفلق وصلاح البيطار (مؤسسي الحزب) كانا مدرسين في مدرسة التجهيز والتي يدرس فيها أغلب أبناء العائلات الكبيرة والاعيان، ومن مختلف المناطق السورية وكان هؤلاء يقصدون دمشق بقصد التحصيل الدراسي. فكان عفلق أستاذاً للتاريخ وصلاح البيطار أستاذاً للعلوم الطبيعية والفيزياء، وقد تحلقت حول عفلق مجموعة من المعجبين به والمتعاطفين معه، وكانت هذه المجموعة ترى فيه (المعلم والمفكر). وعندما تتخرج هذه المجموعة فمنهم من يدخل سلك التعليم كمدرسين .. وهكذا كانوا يحملون راية البعث وينشرون أفكاره في مناطقهم المختلفة^(٢).

لقد كان عفلق من خلال تدريسه للتاريخ ينشر الفكر البعثي، فمما قال: (نحن في دور الممهدين، مهمتنا شق الطريق للجيل الجديد لا تعبيدها .. مهمتنا رفع الأشواك لا زرع الرياحين.. مهمتنا زرع البذور الخالدة لا قطف الثمار اليافعة .. وهذا الجيل لن يكون إلا بانفصاله عن الجيل القديم.. إن عملنا عمل

(١) سياسي يتذكر-٥٦.

(٢) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-٣٤.

نضالي طويل يستهدف المستقبل البعيد.. إن الإسلام كان ثمرة العبقرية العربية أكثر منه وحيأ من عند الله.. نحن أصحاب رسالة لا سياسة).

ويقول أحد طلابه: (إن طلاب عفلق، بل مرديه كانوا يرددون أفكار عفلق، وكان يتلوها بعضنا على بعض وتتغنى بها سكارى على اختلاف أدياننا وطوائفنا حيث لا فرق بيننا، ولا يضعفنا أننا قلة وأنا وحدنا .. لقد كان تفاؤل (أستاذنا) عفلق يغمرنا لقد أطلقنا عليه (محمد ميشيل)^(١).

ويصف أحد البعثيين شخصية (المعلم المفكر) عفلق، فيقول: .. نظرة سائر الحزبيين إلى ميشيل عفلق كإله ذي صورة قدسية .. ونحن في العراق كنا كلنا عفلقين قلباً وقالباً، حين نجلس أمامه نشعر أننا في حضرة المسيح (عليه أفضل الصلاة والسلام)، يأخذنا كلامه ولغته الساحرة وأسلوبه الصوفي^(٢).

وكان عفلق يستغل كل فرصة مواتية له من أجل بث وبيان حزبه البعثي، فلما سنحت له فرصة انتخابات تموز ١٩٤٣ التي خاضها بشخصه كمرشح مستقل .. لم يكن البعثيون في ذلك الوقت غير نواة صغيرة من المثقفين والطلاب، ولم يكن هدفهم الحصول على مقعد في البرلمان، بقدر ما كان همهم التعريف بالاتجاهات القومية والسياسية لحركتهم .. وفي هذه المناسبة أطلق لأول مرة الشعار البعثي (أمة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة) وفي بيانه إلى الشعب قال عفلقُ مُرَشَّحُ البعث: (ندخل الانتخابات لا باسم طائفة، ولا مدينة، ولا

(١) ميشيل عفلق-ذوقان قرقوط-٢٣٢و٢٣٤-المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- ١٩٩٣.

(٢) أوكار الهزيمة تجربتي في حزب البعث العراقي- هاني الفكيكي- ٧٨.

مصالح قريبة أو ظروف سياسية عاجلة، بل باسم فلسفة قومية نريد أن تكون إفصاحاً صادقاً عن الحياة العربية في حقيقتها الخالدة ..^(١).

المبدأ والتنظيم لحزب البعث العربي:

سبقت الإشارةُ إلى أن مقررات حزب البعث ليست سرية، ولذا فإن بيان موقف حزب البعث العربي من الإسلام والمسلمين، من خلال تنظيمه وتنظيره ليس بالأمر الصعب، وبخاصة أنه تولى قيادة بعض البلاد العربية وسن فيها التشريعات البعثية^(٢).

لم يكن حزب البعث العربي الحزب الموجود في الساحة العربية في وقت إنشاء الحزب، فقد كانت هناك الكتل الوطنية العربية، والأحزاب الشيوعية .. الخ، ومن أجل أن يتخذ حزب البعث العربي وجوده الفعلي في البلاد العربية كانت قراراته تصدر في إطار جماعي ومن خلال مؤتمرات تعقد، وفيها يصدر منهج ودستور الحزب، والتي مرت بمراحل مختلفة تقتضيها ظروف معينة^(٣)، حتى تمكن أعضاء الحزب من النفوذ في المجتمع، عن طريق القبض على زمام الأمور في بعض البلاد العربية.

(١) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-٣٤.

(٢) انظر: ١- أوكار الهزيمة تجريب مع حزب البعث العربي-هاني الفكيكي.

٢ - الحركات القومية في ميزان الإسلام-منير محمد نجيب.

٣ - دولة البعث وإسلام عفلق-مطيع النونو.

(٣) انظر: نضال البعث-منشورات دار الطليعة- بيروت-١٩٦٣ ٤/١٨٧.

ومن هذا المنطلق كانت قرارات الحزب تختلف من فترة إلى أخرى،
وبدراسة جميع قرارات الحزب يتبين للباحث محاولة تحديد مبدأ وتنظيم
الحزب^(١)، بما يلي:

أولاً: موقف حزب البعث العربي من الدين الإسلامي:

أ - يقرر عفلق - النصراني - موقف الحزب من الإسلام، فيقول: (لا يفهمنا إلا المؤمنون، المؤمنون بالله، قد لا تُرى نصلي مع المصلين، أو نصوم مع الصائمين، ولكننا نؤمن بالله لأننا في حاجة ملحة وفقر إليه عصب.. ونحن وصلنا إلى هذا الإيمان ولم نبدأ به، وكسبناه بالمشقة والألم ولم نرثه إرثاً، ولا استلمناه تقليداً)^(٢). إن عفلق يقرر إيمانه بوجود الله فقط من غير التزام للإسلام.

وقد قرر هذا المبدأ في محاضرة (ذكرى الرسول العربي) ألقاها عام ١٩٤٣، ويقول أحد أعضاء الحزب عن تأثير هذه الكلمات في نفسه: (عندما أقرأ كراسه (ذكرى الرسول العربي) أقف مأخوذاً بلغته وعندما أصل إلى نهايته حيث يقول (إذا كان محمدٌ كلُّ العربِ فليكن كلُّ العربِ محمداً) تتابني قشعريرة وتسري في أوصالي برودة... ومع اعتقادي بالعلمانية لم أجد أي فاصل بين القومية العربية

(١) انظر: حزب البعث العربي-جلال السيد- من صفحة ٨٨ إلى صفحة ١٠٦- يتحدث المؤلف فيها عن عملية الدمج بين حزب البعث العربي وبين العربي الاشتراكي والظروف والمتغيرات التي مر بها حزب البعث العربي الاشتراكي.

(٢) في سبيل البعث-ميشيل عفلق-٤٢-٥٢- دار الطليعة للطباعة والنشر-الطبعة الخامسة-١٩٧١.

والإسلام، فرسالتنا الخالدة كأنياء صغار هي: بعث الأمة العربية وتحديد روحها كي تبعد ثانية كما أبدعت الإسلام^(١).

لذا يعتبر حزب البعث الإسلام جزءاً أساسياً من التراث العربي وليس جزءاً بديلاً عن الوجود العربي. فالأساس بالنسبة للبعث ليس الإسلام الذي يمكن أن يصادف وجوده عند العرب وغيرهم، بل العروبة ذات الحضارة الإسلامية، دون أن يكون الدين الإسلامي بالضرورة هو المقياس للعروبة^(٢).

ثانياً: حزب البعث والعلمانية:

البعث والعلمانية توأمان، فكل الأحزاب التي قامت على أساس القومية أو الوطنية.. علمانية، وليبان علمانية حزب البعث يقول عفلق: (إن علمانية البعث هي التي تحرر الدين من ظروف السياسة وملابساتها.. وتسمح له بالتالي أن يتحرر وينطلق في حياة الأفراد والمجتمع)^(٣).

ومن توصيات المؤتمر القومي الرابع، تعتبر الرجعية الدينية إحدى المخاطر الأساسية التي تهدد الانطلاقة التقدمية في المرحلة الحاضرة ولذلك يوصي القيادة القومية بالتركيز في النشاط الثقافي والعمل على ما يلي:

أ - علمانية الحزب، خاصة في الأقطار التي تشوه فيها الطائفية العمل

السياسي

(١) أوكار الهزيمة تجرّبي في حزب البعث العراقي-هاني الفكيكي- ٧٨.

(٢) سياسي يتذكر تجربة في العمل السياسي-جمال الشاعر- ٥٨.

(٣) في سبيل البعث-ميشيل عفلق- ١٤٤.

ب — إبراز التناقضات بين مصالح الفئات الرجعية المتاجرة بالدين وبين مصالح الجماهير الشعبية، وتعميق هذه التناقضات بتبني المطالب الشعبية وتشجيع الجماهير على النضال من أجل مطالبها الاجتماعية والاقتصادية ... لذلك تقرر أن أفضل سبيل لتوضيح فكرتنا القومية هو شرح وإبراز مفهومها التقدمي العلماني، وتجنب الأسلوب التقليدي في عرض الفكرة القومية، وعلى ذلك سيكون نضالنا في هذه المرحلة مركزاً حول تأكيد علمانية حركتنا ومضمونها الاشتراكي لاستقطاب قاعدة شعبية لا طائفية من كل فئات الشعب وطبقاته.

ج — حرية الاعتقاد: حزب البعث العربي الاشتراكي يعتبر حرية الكلام والاجتماع والاعتقاد والفن مقدسة لا يمكن لسلطة أن تنقصها^(١).

وحيث إعلان البيان الأول لحزب البعث العربي في العراق ١٩٦٣، استخدمت عبارات وأفكار تضمنها البيان، قال عنها أحد مؤسسي الحزب: (غريبة عن لغة الحزب السياسية وجديدة علينا كـ ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(٢)) ورغم أن مسألة الإيمان بالله كانت قضية محسومة في الحزب ولم يطلها أي نقاش أو تساؤل، فإن خطاب الحزب السياسي كان ذا لثغة علمانية ورنين قوي^(٣).

ثالثاً: حزب البعث والقومية العربية:

من أبرز ركائز حزب البعث القومية العربية، وقد لحن ميشيل عفلق أعضاء الحزب هذه الأبيات الكفرية:

(١) نضال البعث-١/١٧٢-١٨١- منشورات دار الطليعة- بيروت-١٩٦٣.

(٢) الأنفال: (٦٠).

(٣) أوركار الهزيمة تجرّبي في حزب البعث العراقي-هاني الفكيكي - ٢٦٧.

آمنت بالبعث رباً لا شريك له وبالعروبة ديناً ما له ثان

فيقرر الحزب: أن الأمة العربية فكرة خالدة، قيمة مطلقة، وبكلمة واحدة إنها الروح. ويمكن القول إن القومية العربية قد ارتفعت إلى مستوى الروح العلوية بالقدر الذي كان للدين^(١). ويؤكد عدم الاكتفاء بأن (القومية العربية) ديناً للحزب، بل إن معالجة القضايا العربية لا تكن إلا من وجهة النظر القومية، فهي المحكمة في معالجة القضايا العربية في قوميته^(٢).

فحزب البعث العربي الاشتراكي قومي يؤمن بأن القومية حقيقة حية خالدة وبأن الشعور القومي الواعي الذي يربط الفرد بأتمه ربطاً وثيقاً هو شعور مقدس.. والفكرة القومية التي يدعوا إليها الحزب هي: إرادة الشعب العربي أن يتحرر ويتوحد، وأن تعطى له فرصة تحقيق الشخصية العربية في التاريخ^(٣).

لقد قرر حزب البعث العربي: أنه إذا كانت القومية العربية هي الدين الجديد الذي أفرزته الأمة العربية في الوقت الحاضر، فإن البعث بالتالي هو الحركة التي جسدت هذه القومية. وإذا كان علم الكلام قد أساء للدين وزجه في إطار ليس له أساس.. فإن القومية العربية كالدين تماماً لا يمكن أن يستوعبها تحليل نظري جاهز.. وإذا كان الدين قديماً يقول كلمته في أوضاع الأمة جميعاً.. فإن القومية

(١) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-١/٨٠.

(٢) في الثقافة والحضارة-إلياس فرح-٨٦-العراق وزارة الثقافة والفنون-دار الرشيد-١٩٧٩.

(٣) نضال البعث-١/١٧٢.

العربية اليوم هي: نظرية متكاملة لحياة ونظام للمجتمع، لها رأيها الصريح في الاقتصاد والنظام والأخلاق والإنسانية والدين^(١).

رابعاً: الولاء والبراء في تنظيم حزب البعث:

من نتائج تقرير (العروبة) ديناً للحزب فقد أصبح الولاء والبراء من أجلها، لذا نص دستور الحزب على أن: الرابطة القومية هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدول العربية التي تكفل الانسجام بين المواطنين، وانصهارهم في بوتقة واحدة، وتكافح سائر العصبية المذهبية والطائفية والقبلية والعرقية والإقليمية. وأن الأمة العربية وحدة ثقافية، جميع الفوارق القائمة بين أبنائها عرضية زائفة تزول جميعها بيقظة الوجدان العربي .

وتحقيقاً لمبدأ الولاء للقومية العربية فقد نص دستور الحزب على ما يلي:

أ — يُجلى عن الوطن العربي كل من دعا أو انضم إلى تكتل عنصري ضد العرب، وكل من هاجر إلى الوطن العربي لغاية استعمارية^(٢).

ب — ترمي سياسة الحزب التربوية إلى خلق جيلٍ عربي جديد مؤمن بوحدة أمته وخلود رسالتها أخذ بالتفكير العلمي، وطلیق من قيود الخرافات والتقاليد الرجعية.. ولذا يقرر الحزب: طبع كل مظاهر الحياة الفكرية والاقتصادية والسياسية والعمرائية والفنية بطابع قومي عربي، يعيد للأمة صلتها بتاريخها المجيد وتحفزها إلى أن تتطلع إلى مستقبل أجد وأمثل^(٣).

(١) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-٨٤.

(٢) نضال البعث-١/١٧٢-١٨١.

(٣) المصدر نفسه-١/١٧٢-١٨١.

خامساً: حزب البعث العربي ومصدر التشريع:

تحقيقاً لعلمانية حزب البعث فقد أعطي الشعب سلطة التشريع، ولم يُعبد الناس بالوحي الإلهي، فنص دستور الحزب بأنه: حزب شعبي يؤمن بأن السلطة هي ملك للشعب، وأنه وحده مصدر السلطات. كما يؤمن بالنضال الشعبي لبث القومية العربية وبناء نظام اقتصادي اشتراكي يحقق العدالة الاجتماعية وتوزيع الثروة توزيعاً عادلاً^(١).

وتوسيعاً لشمولية حزب البعث العربي، فقد قرر دستور الحزب: يُوضع بملاء الحرية تشريعٌ موحدٌ للدولة العربية ينسجم مع روح العصر الحاضر على ضوء تجارب الأمة العربية في ماضيها.

كما يرى حزب البعث العربي الاشتراكي أن الإنسانية مجموع متضامن في مصلحته، مُشترِكٌ في قيمه وحضاراته. فالعرب يتغذون من الحضارة الإنسانية ويغذونها، ويمدون الإخاء إلى الأمم الأخرى ويتعاونون معها على إيجاد نظم عادلة تضمن لجميع الشعوب الرفاهية والسلام^(٢).

ويقول أحد أعضاء الحزب: لقد أصدر حزب البعث قانوناً للأحوال الشخصية انصف المرأة وساواها في الإرث مع الرجل، مؤكداً حقها الموازي للرجل في الطلاق، وحدد سن الزواج بثمانية عشر عاماً، ومنع تعدد الزوجات

(١) الأحزاب السياسية في الأردن - هاني الوراني وآخرون - ٨٧.

(٢) نضال البعث - ١٧٢/١ - ١٨١

إلا في الحالات الاستثنائية، الشيء الذي أثار حفيظة المرجعات الدينية السنية والشيعية على السواء باعتباره قانوناً مخالفاً للشرع.. وقد قررت القيادة القطرية وبعد مناقشات مطولة الإبقاء على القانون باعتباره منصفاً للمرأة حامياً لها، فضلاً عن أنه ترك الحرية للمواطن في الأخذ به أو التزام الشرع الإسلامي^(١).

وفي بداية تولي الحزب السلطة في العراق، عقّد اجتماعاً واتخذ جملة قرارات تنظيمية وسياسية أولى فيها توضيح هوية الحكم أهمية كبرى والتأكيد على التمسك بقانون الإصلاح.. وأكد على وزراء الحزب ضرورة الإفصاح عن نهج الحكم التقدمي المعادي للاستعمار والرجعية^(٢).

سادساً: حزب البعث والثورة العربية الكبرى:

إن مؤسسي حزب البعث يعتبرون أنفسهم استمراراً للثورة العربية الكبرى، واختيارهم علم تلك الثورة علماً للحزب نفسه^(٣). ويبين صلاح البيطار وهو أحد مؤسسي الحزب أن سبب قبول الناس لحزب البعث ما أحدثته الثورة العربية الكبرى من وعي قومي، فيقول: كانت الناس والشباب تأتي إلى حزب البعث أفواجا في سورية الطبيعية التي تنزع بفطرتها إلى بعث القومية كقوة عربية ثورية، لأن سوريا الطبيعية وجدت في ظروف تاريخية وجغرافية جعلتها تسبق البلاد العربية في موضوع الوعي القومي.. فمثلاً كانت سوريا مع ثورة

(١) أوكار الهزيمة تجريب في حزب البعث العراقي- هاني الفكيكي- ١٢٩.

(٢) المصدر السابق- ٢٧٢.

(٣) سياسي يتذكر تجربة في العمل السياسي- جمال الشاعر- ٥١.

الشريف حسين منذ مطلعها.. الأمير فيصل توج ملكاً في دمشق عام ١٩٢٠..
هيئة أركان الملك فيصل كانت عربية فيها العراقي والسوري والفلسطيني^(١).

وقد نص في دستور الحزب فقرة رقم (٩): (راية الدولة العربية هي الثورة
العربية التي انفجرت عام ١٩١٦ لتحرير الأمة العربية وتوحيدها)^(٢).

سابعاً: العقائد الباطلة وانتمائها لحزب البعث:

في الدراسة السابقة عن الجمعيات القومية تبين الخلط العقائدي عند منتسبي
الجمعيات القومية، وهذا الخلط يلزم مراعاته في دساتيرها وتنظيماتها.

إن حزب البعث كغيره من التنظيمات القومية لم يسلم من هذا الانتماء
الطائفي، ومؤسس الحزب (ميشيل عفلق نصراني). وعندما قام الكيان اللبناني
على أساس طليعية المارونيين وأكثرية المسيحيين، ظلت طوائف المسلمين
تستجيب لمختلف الدعوات غير اللبنانية، والعربية منها خاصة أو الإسلامية،
كذلك فإن المسيحيين من غير الموارنة كانوا أكثر استجابة من الموارنة لمثل تلك
الدعوات، كالدعوة السورية القومية والشيوعية والأفكار العربية.

وكانت نسبة المسيحيين (النصارى) في حزب البعث مرتفعة لدرجة أن
معظم الكوادر القيادية دون القيادة القطرية كانت مسيحية، وفي العراق بدأ
تكوين الحزب في أوساط السنة من العرب وكان الشيعة قد أقبلوا على الحزب

(١) المصدر نفسه-٦٨.

(٢) نضال البعث - ١٧٢/١-١٨١

في بداية تأسيسه إلا أن اقتراب البعثيين من السلطة أعاد للأقلية السنية امتيازاتها التقليدية وسيطرتها على الدولة والحزب^(١).

ويصف أحد أعضاء حزب البعث العربي حال أعضاء قيادة الفرقة الحزبية، بأنهم: (جميعهم في الكاظمية شيعية، وكذلك كان حال أعضاء التنظيم.. حتى أن عملنا الحزبي كان يتوقف في شهر محرم ويوم عاشوراء من كل عام.. ولم يشذ أعضاء الحزب عن غيرهم من أبناء الكاظمية.. هذا التعايش بين العقائدي والمذهبي كان عاماً، ولم يقتصر على البعثيين، فقد كنت تجد الشيوعي والقومي والديموقراطي الوطني يمارسون بدورهم النشاطات نفسها)^(٢).

وعند الإعلان عن تأسيس حزب البعث، تردد عفلق في توليه قيادة الحزب، بسبب كون أمين الحزب (والذي يشغله ميشيل عفلق) رجل نصراني مع أن حزب البعث قد نشأ في بلاد مسلمة. فقد ذكر أحد مؤسسي الحزب، بأن عفلق قد قال له: (إذا كان الحزب ينوي أن يمارس العمل السياسي ويحصل على مكاسب فيجب عليه أن يتخذ الأساليب النافعة في هذا المضمار. -فذكر منها: إن حزباً قومياً في مدينة دمشق المحافظة، وهو يتألف من أكثرية ساحقة من المسلمين بحكم التكوين العام للوطن، كيف يجوز له أن يكون أمينه العام مسيحياً).

(١) سياسي يتذكر تجربة في العمل السياسي -جمال الشاعر- ٦٤.

(٢) أو كار الهزيمة تجربي في حزب البعث العراقي -هاني الفكيكي- ٨٣.

فكان رد على هذا الأمر بأن منهج الحزب إذا كان يسير تماماً وفق الأعراف الدارجة ويخضع للمفاهيم العارضة فما هي الانقلابية التي نصر عليها دستور الحزب. وهل الانقلابية تعني شيئاً غير التمسك بالحق ولو خالفه الكثيرون. أكد لعفلق أنه ليس في الحزب أحد غيره يستطيع أداء هذه المهمة وأن الحزب ما يزال بقضه وقضيضه يكن له الاحترام ويمنحه التأييد.. وأنه الوحيد الذي يصلح للأمانة العامة. وأن المسaire واللين والتأثير الروحي التي ينطبع بها عفلق ليست متوافرة في غيره^(١).

وبعد هذا التعريف الموجز عن حزب البعث العربي، يجب الإشارة إلى قضية مهمة وهي، أن الحزب قد رفع شعار(أمة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة)^(٢).

ومن دستور حزب البعث كما في المادة رقم (٣): الفكرة القومية التي يدعو إليها الحزب هي: إرادة الشعب أن يتحرر ويتوحد، وأن تعطى له فرصة تحقيق الشخصية العربية في التاريخ...^(٣).

هذا الشعارات في نظام حزب البعث لا تخرج عن كونها شعارات رمزية، ويدل على ذلك ما يلي:

الأمر الأول: — قال أحد أعضاء الحزب —: كان معتقدي الديني ذابلاً متراجعاً لا لمصلحة عقلانية متنورة، بل أمام طغيان المعتقدية القومية على نفسي.

(١) حزب البعث العربي-جلال السيد-٨٤. (بتصرف يسير).

(٢) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-٨٤.

(٣) نضال البعث-١٧٢/١-١٨١

وبطبيعة الحال لم يصاحب ذلك إيمان بالديمقراطية أو حرص على مؤسساتها. وما كنا نقوله ونكتبه عن الحريات لم يعد كونه لغواً ثقافياً وحزبياً أو استخداماً لمصطلحات درجت الأحزاب على مخاطبة الناس بها^(١).

الأمر الثاني: تصريح مؤسس الحزب — ميشيل عفلق — في طريقة مقاومة المخالف فيقول: إن مقاومة الأفكار الهدامة لا تقتصر على مناقشتها ودحضها، بل تملي تصفية المؤمنين بها والداعين إليها^(٢). ولذا من دستور الحزب كما في المادة (٦): حزب البعث العربي الاشتراكي، انقلابي يؤمن بأن أهدافه الرئيسية في بعث القومية العربية وبناء الاشتراكية لا يمكن أن تتم إلا عن طريق الانقلاب والنضال. وأن الاعتماد على التطور البطيء والاكتفاء بالإصلاح الجزئي يهددان هذه الأهداف بالفشل والضياع^(٣).

الأمر الثالث: تاريخ حزب البعث وصراعه السياسي يناقض دعواه ودستوره (أمة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة) فمنذ بدايات تأسيس الحزب وهو في صراع من أجل الوصول إلى السلطة^(٤).

ويقول أحد المؤسسين للحزب: وحزب البعث عندما استلم السلطة في العراق وسورية جنح إلى الأسلوب الشديد، فعاقب على الشبهة ونفذ مبدأ

(١) أوكار المزعمة تجرّبي في حزب البعث العراقي-هاني الفكيكي- ١٠٩.

(٢) المصدر السابق نفسه-٧٧.

(٣) نضال البعث-١/١٧٢-١٨١ وانظر: خيراتي في الحكم-حسن الحكيم- ٥٥.

(٤) حزب البعث العربي الاشتراكي-مصطفى دندشلي-٨٤

المسؤولية الجماعية وقتل وسجن وأفقر وأجاع كل من يرى أنه ليس مؤيداً ولا مؤمناً بالحزب، ثم مد بعضهم يده إلى خزانة الدولة فعمل فيها إسرافاً وبعثرة^(١).

ففي سوريا مثلاً — نشأة الحزب — يقرر ميشيل عفلق تعمد تأييد وسائل العنف والثورة لأنه كان يشعر بأن مجال نجاح أهدافه الاجتماعية نادراً ما يتحقق إلا إذا أطيح بأنظمة الحكم القديمة بانقلاب عسكري، ثم يتولى الحكم صفوة مختارة من الناس يعملون على تطوير أنظمة حكم جديدة وفقاً لأفكار ومثل عليا جديد^(٢).

ويقول أحد مؤسسي حزب البعث: (منذ عام ١٩٤٩ أخذ الحزب يمهّد لانقلاب عسكري.. وفي ٢٩ مارس من هذه السنة أطاح الجيش بنظام القوتلي وحل محله الزعيم حسني الزعيم^(٣))^(٤).. الذي حل البرلمان وعلق الدستور، ووقع اتفاقية الهدنة مع إسرائيل... (ولم يستطع البعثيون أن يفوزوا بالكثير في ظل مثل هذا الحاكم المتسلط، فوقع الصدام^(٥)) وزج حسني الزعيم بقيادة البعث في المعتقل لمدة ثلاث أسابيع.. وقد تعرض عفلق في معتقله إلى المضايقات.. الأمر

(١) حزب البعث العربي-جلال السيد- ٢٠٤.

(٢) عرب معاصرون-مجيد خدوري-٣٧٣-الدار المتحدة للنشر-بيروت-الطبعة الأولى-١٩٧٣.

(٣) انظر الترجمة رقم (١٩).

(٤) حزب البعث-سامي الجندي-٥١-دار النهار-بيروت-الطبعة الأولى-١٩٦٩.

(٥) نضال البعث-٢٩٢/١.

الذي جعله يكتب لحسني الزعيم رسالة^(١) يعترف بها عفلق بأخطائه وأخطاء حزبه.. وقد كثف حزب البعث وأكرم الحوراني اتصالاتهم بالضباط الشبان، وكان الانقلاب الثاني بتاريخ ١٤/٨/١٩٤٩ (٢٠/١٠/١٣٦٨هـ) بقيادة اللواء سامي الحناوي... وشكل الحناوي وزارة برئاسة هاشم الأتاسي^(٢)، دخلها ميشيل عفلق وزيراً للتربية وأكرم الحوراني وزيراً للزراعة.. وفي الانتخابات النيابية.. فاز فيها جلال السيد -عضو اللجنة التنفيذية للحزب- عن منطقة دير الزور... وفي مارس ١٩٥٤ غادر الشيشكلي البلاد بعد إعلان النقيب مصطفى حمدون عن انقلاب جديد وكان للبعثيين كالعادة دور طليعي في إسقاط الحكم السابق وفي تأييد الانقلاب اللاحق^(٣).

(١) قيادة حزب البعث المرتدة-محمود عبدالرحيم-٦-القاهرة-الدار القومية. وانظر رسالة عفلق ويخط يده في كتاب: دولة البعث وإسلام عفلق-مطبع النونو-٥٦١. وعن تأثير هذه الرسالة عليّ الحزب، قال سامي الجندى: عندما خرج الأستاذ من السجن جُوبه بثورة من الحزبيين رفضوا جميعاً كل تعليل أعطي لهم، كانوا مجمعين على أن الموت أفضل وأن المهّم أن يبقى شرف الحزب ورسالته، وأن شهيداً ينقلها للأجيال خير من أحياء تراجعوا أمام التهديد والتعذيب. والبادرة كانت خطيرة وهي إنما تدل على أن القائد ميشيل عفلق قد انتهى وحل محله الأستاذ الذي ظل الحزب على ولائه له واحترام فكره دون الإيمان بقدرته على الزعامة. حزب البعث-سامي الجندى-٥٤-٥٥. وعن التبريرات التي ذكرها البعثيون عن هذه الرسالة. انظر: حزب البعث العربي-جلال السيد-٦٢-٦٥. وقيادة حزب البعث المرتدة-محمود عبدالرحيم-٦.

(٢) انظر الترجمة رقم (٧٠).

(٣) القومية بين النظرية والتطبيق- مصطفى محمد طحان-٢٠١-٢١٦.

وانظر: حيراني في الحكم-دولة حسن الحكيم-١٦-٢٨-فقد استعرض بداية ونهاية تولي الحكومات القومية في سوريا، والتي من ضمنها حزب البعث العربي .

وحزب البعث العربي في العراق لم يخل من صراع مع مخالفيه، بل وبين أعضائه، وقد قال أحد مؤسسي الحزب في العراق: (لا أذكر أن حزب البعث أوقف هذه الاغتيالات أو حاول الوقوف في وجهها، بل يمكنني القول إننا في بعض المناطق والأحياء شجعناها ورعيناها من دون أن يكون ثمة دور مكشوف أو مباشر للحزب الذي أدان الاغتيال السياسي سابقاً^(١)).

ومثال الصراعات السياسية في حزب البعث العراقي: تكاتف عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف بانقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ (١٣٧٧هـ) الذي نفذه مجموعة من القوميين والشيوعيين وكان لحزب البعث علمٌ به فقد قال أحد أعضاء الحزب: (وقبيل ١٤ تموز أبلغنا جعفر قاسم حمودي-عضو القيادة القطرية- أن أحداثاً عربية حاسمة ستحصل في القريب العاجل، طالباً وضع أجهزة الحزب ومؤيديه في حالة طوارئ.. وكانت قيادة البعث على علم دقيق وتفصيلي بالثورة وتنظيمات الضباط)^(٢).

ومن آثار هذا الانقلاب أن حزب البعث الذي نزل أفرادُه إلى الشارع بعد تموز^(٣)، كان أصبح، على ضعفه، التنظيم الحزبي الأقوى للحركة القومية في العراق.. وعين فؤاد الركابي - أمين سر الحزب - وزيراً للإعمار^(٤). وبعد

(١) أوكار الهزيمة تجربتي في حزب البعث العراقي-هاني الفكيكي-١٦٧.

(٢) المصدر السابق نفسه-٨٥.

(٣) انظر: العراق دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية-عبدالمجيد القيسي-٣٢١/١.

(٤) المصدر السابق نفسه-٨٧.

انفراد عبدالكريم قاسم بالسلطة قامت مجموعة من البعثيين في أكتوبر ١٩٥٩ (١٣٧٩هـ) بمحاولة اغتيال قاسم.^(١) وخطط للعملية فؤاد الركابي.. وتفرد حزب البعث مع بعض أنصاره في الانقلاب الدموي ضد عبدالكريم قاسم في ٨ فبراير ١٩٦٣، والذي أسفر عن تولية عبدالسلام عارف رئاسة الجمهورية، وتأليف حكومة برئاسة أحمد حسن البكر من بعثيين وقوميين عرب.. أما المجلس الوطني لقيادة الثورة فقد كان أغلبه من البعثيين... في غمرة الفوضى وتضارب المصالح البعثية قام عبدالسلام عارف بحركة يوم ١٨ نوفمبر ١٩٦٣ وخلص العراق من شلة المغامرين البعثيين.. وفي ١٩٦٦ قام عبدالرزاق النايف وعبدالرحمن الداود بانقلاب جديد تعاوننا فيه مع قيادة حزب البعث^(٢). وهكذا كان وما زال تاريخ حزب البعث وواقعه صراع.. وانقلاب.

(١) لقد تمت تسع محاولات اغتيال لعبدالكريم قاسم، وكانت الجهة المسؤولة عن ذلك حزب البعث. انظر:

عبدالكريم قاسم وساعاته الأخيرة-أحمد فوزي ٧٢-٩٩-دار الحرية للطباعة-العراق-الطبعة الأولى-١٤٠٩هـ.

العراق في عهد عبدالكريم قاسم دراسة في القوى السياسية والصراع الأيدلوجي(١٩٥٨-١٩٦٣)- محمد كاظم-١٣٣-مكتبة اليقظة العربية-العراق-بغداد.

(٢) القومية بين النظرية والتطبيق- مصطفى محمد طحان-٢١٧-٢٢١. وانظر: أوكار الهزيمة تجرئني في حزب البعث العراقي-هاني الفكيكي-٢١٣-٣١٧.